الفصل الأول

نبذة تاريخية عن قيام الامارات في المشرق الاسلامي

المقدمة:

تعرضت الدولة العربية الاسلامية الى الانقسام السياسي نتيجة عوامل خارجية وداخلية عديدة رافقت قيام الخلافة العباسية ، الدور الاول في ظهر عدد من الكيانات السياسية ضمن اطار الخلافة العباسية ،استقل بعضها استقلالا كاملا عن السلطة المركزية في بغداد وبقى البعض الاخر خاضعاً لسطانيا المباشر ولاشك أن تعدد الكيانات السياسية الصغيرة هذه كانت لها آثار خطيرة على مستقبل الدولة العربية في المراحل التالية . فقد واجهت لها آثار خطيرة على مستقبل كيانه السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي . تمثل بالغزو الاوروبي الصليبي من الغرب والغزو المغولي من الشرق.

فاذا أردنا أن ندرس تاريخ أية أمارة نشأت لابد لنا من الاشارة الى الضعف والانحلال الذي أصاب السلطة المركزية والمتمثلة بالخلافة العباسية بدأ من الخليفة العباسي الذي فقد السيطرة على زمام الامور.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

أمارة المشرق

الامارة الطاهرية (٢٠٥هـ-٢٥٩هـ)

١. طاهر بن الحسين (٢٠٥-٢٠٧هـ).
٢. طلحة بن طاهر (٢٠٧-٢١٣هـ).
٣. عبد الله بن طاهر (٢١٣-٢٣٠هـ).
٤. طاهر بن عبد الله (٢٣٠-٢٤٨هـ).
٥. محمد بن طاهر (٢٤٨-٢٥٩هـ).

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

امارات المشرق

١- الدولة الطاهرية {٢٠٥-٢٥٩هـ / ٨٢٠- ٨٧٢م}

أسس طاهر بن الحسين ، الدولة والطاهرية هو من كبار قادة الدولة العباسية – أصبح والياً على منطقة بوشنج ، حينما بدأ النزاع بين الأمين والمأمون ، وقام طاهر بدوره في محاربة الأمين طمعا في المكاسب التي سيحصل عليها ، فاشتبك مع علي بن عيسى – قائد الأمين – وهزمه وقتله سنة ١٩٥هـ – ٨١٠م .

كافأة المأمون بعد أن استقر في الخلافة ، وأسند إليه ولاية الجزيرة ، وولاية شرطة بغداد ، ورفض المأمون توليته خرسان ، حتى لا يستقل بها .

الا أن طاهر بن الحسين كان يطمع في ولاية خرسان ، وما زال بالمأمون حتى أسندها إليه سنه ٢٠٥هـ – ٨٢٠م جميع البلاد شرقي بغداد ، أي المشرق الإسلامي ، واتخذ من نيسابور – حاضرة لدولته – وعلى ذلك استطاع طاهر بن الحسين أن يؤسس أول إمارة شبه مستقلة في المشرق الإسلامي .

اعتزم طاهر بن الحسين الاستقلال نهائيا بأمارته عن دولة الخلافة العباسية ، ففي سنة ٢٠٧هـ ٠ ٨٢٢م أسقط اسم الخليفة العباسي من الخطبة.

ترك طاهر بن الحسين وصيته لخليفته ليحدد له السياسة التي يجب أن يتخذها الحاكم المسلم نحو رعيته ، وأوصاه بالعدل والإحسان إلى الرعية ، والحكم بما أنزل الله والتفقه في الدين ، وانفاق الأموال في حقها ، وعدم كنز الأموال وإقامة الحدود . وقال في وصيته : (وأحب أهل الصدق والصلاح وواصل الضعفاء ، وصل الرحم ، وأنعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى ، وأملك نفسك عند الغضب ، واعلم آن الأموال اذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر ، واذا كانت في إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم ، وكف المؤونة عنهم ، نمت وربت وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم).

ابقى الخليفة المأمون ، الطاهريين في حكم المشرق الإسلامي وحرص خلفاء طاهر بن الحسين على تحسين علاقتهم بالخلفاء العباسيين ، بل وقفوا إلى جانبهم

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

في القضاء على حركات التمرد والعصيان التي قامت ضدهم ، لذلك حرص الخلفاء العباسيون على دعمهم وتأييدهم .

تصدى عبدالله بن طاهر لفتن في خرسان ولم يتهاون مع حكام الأقاليم الذين ظلموا الرعية ، وجمع الفقهاء من العراق وخراسان ، وآمرهم بوضع كتاب عن الأرض وملكيتها وأساليب الري ، واستخدام الماء ، والزم أهل دولته باتباع ما جاء في الكتاب. وتوفي عبد الله بن طاهر سنه ٢٣٠ هـ .

كان محمد بن طاهر آخر خلفاء الدولة الطاهرية ، ولم يكن على شاكلة أسلافه ، فقد كان أميرا عابثا ، فضعف عن إدارة شئون الدولة ، وقامت ضدة عدة ثورات عجز عن قمعها ، فاستنجد الناس بيعقوب بن الليث الصفار للقضاء على الفوضى التي شملت بلادهم ، فسار يعقوب إلى نيسابور ٢٥٤ هـ – ٨٦٧م ، وقبض على محمد بن طاهر وأفراد أسرته وأهل بيته . وبذلك زالت وانتهت الدولة الطاهرية .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الامارة الصفارية (٢٥٤هـ – ٢٩٨هـ)

١. يعقوب بن الليث الصفار (٢٥٤هـ-٢٦٥هـ).
٢. عمرو بن الليث الصفار (٢٦٥هـ-٢٨٧هـ).
٣. طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث (٢٨٩هـ-٢٩٦هـ).
٤. الليث بن علي بن الليث (٢٩٦هـ-٢٩٧هـ).
٥. معدل بن علي بن الليث (٢٩٧هـ-٢٩٨هـ)

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٢- الدولة الصفارية {٢٥٤-٢٩٠هـ - ٨٦٧- ٩٠٣م}

تنسب الدولة الصفارية إلى يعقوب بن الليث الصفار ، وكان رجلا من أحدى قرى سجستان ، وعمل صفارا في طلاء الأسلحة ، وإزالة الصدأ عنها ، وكان شهما جواداً ، يجود بكل ما يملك ، واصبح من أفراد المطوعة ، وهي فرق عسكرية تعمل على حماية سجستان ،وفارس وكرمان من حالة الفوضى التي تعرصت لها من ثورات الخوارج ، وتولى قيادة المطوعة ، ومن ثم عظم أمره ، حتى أن أهل سجستان استنجدوا به ، لتخليصهم من الفوضى التي حلت ببلادهم ، فسار إليهم يعقوب ، ودفع عنهم الضر ، ولما رأى أهل سجستان شجاعته وإقدامه ، ولوه قيادتهم .

بدأ يعقوب بن الليث بالسيطرة على بست ، ثم استولى على سجستان ، وتقدم إلى غزنة ، واستولى على كابل ، وتقدم إلى هراة وبوشنج واستولى عليهما ، ثم قصد نيسابور – حاضرة الطاهريين – وقبض على محمد بن طاهر ، واستولى على خزائنه ، ونهب أموال الطاهرين سنة(٢٥٤هـ) ، ثم قصد فارس والأهوار واستولى عليهما ، ودخل شيراز ، وإستولى على بلخ سنه ٢٥٨هـ ورحل إلى طبرستان وجرجان ، وحارب الحسن بن زيد – أمير هذه البلاد وانتصر عليه ، ونهب خزائنه سنة ٢٦٠ هـ ، وأسر جماعة من العلويين ، وأساء أليهم ، ودخل آمل في طبرستان ، وهزم الحسن بن زيد مرة أخرى .

اشتد يعقوب في معاملة أهل البلاد التي استولى عليها ولما شعر يعقوب باستياء الناس منه ، واستياء الخليفة من ظلمه تقرب إليه حتى يحصل على تفويض منه بحكم البلاد التي استولى عليها ، وأرسل الهدايا إلى الخليفة المعتمد ، وكان يحمل إلى الخليفة في العام خمسة الآف درهم . وعلى اثر ذلك منح الخليفة المعتمد ، ليعقوب بن الليث تفويضا بحكم خراسان وفارس والرى وطيرستان وجرجان وأذربيجان وكرمان ، وبذلك أقام يعقوب بن الليث دولة قوية على أنقاض الدولة الطاهرية .

على أن يعقوب بن الليث لم يكتف بذلك ، بل طمع في العراق وفي بلدان الخلافة ، ودارت الحرب بين جيش الخليفة المعتمد وجيش يعقوب بن الليث هزم فيها الجيش الصفاري في دير العاقول شر هزيمة ، وآفرج الخليفة المعتمد عن محمد بن طاهر –

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الذي كان أسيرا في جيش الصفاريين . وضعف يعقوب بعد هذه الهزيمة ، ومرض – نيسايور – وتوفى سنة ٢٦٥هـ ٨٧٨م .

أقرت الخلافة العباسية عمرو بن الليث خلفا لأخيه يعقوب ، أرسلت إليه العهد ومعه العقد والخلع، واتخذ عمرو بن الليث مع الخلافة العباسية موقفا وديا ، فأظهر للخليفة الولاء والطاعة ، وبلغ من ثقة الخلافة به آن أسندت إليه ولاية شرطة بغداد ، بالإضافة إلى الولايات التي وليها ، وذلك سنة ٢٧٦هـ – ٨٨٩م . وبذلك قوى نفوذه وسلطانه .

وضع عمرو بن الليث نظاما دقيقا لمراقبة عماله وولاته ، ورتب موارد الدولة وعمل على زيادتها ، لكن عمرو لم يقنع باتساع رقعة دولته ، بل طمع في ضم المزيد من الأراضي ، وطالب الخليفة العباسي بإقراره على حكم بلاد ما وراء النهر ، ولم يجد الخليفة العباسي بدا من إقرار عمرو على حكم هذه البلاد ، وكان إسماعيل بن أحمد الساماني – امير بلاد ما وراء النهر – رفض تسليم ولايته إلى عمرو بن الليث ، ودارت الحرب بينهما سنة ٢٨٨هـ ، انتهت بهزيمة عمرو بن الليث ووقوعه أسيرا في يد الأمير أسماعيل الساماني .

كانت بداية النهاية للدولة الصفارية وأمنت الدولة السامانية على حدودها من خطر الصفاريين ، فقد ارسل الأمير الصفاري إلى بغداد ، وبقى بها حتى وفاته سنة ٢٨٩هـ – ٩٠١ م .

وكان عمرو كثير التفقد لرجاله وجنده ، ويأمر لكل منهم بالصلات كل ثلاثة أشهر .

ولي طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار حكم الدولة الصفارية بعد موت عمرو بن الليث ، وكان صغيرا ، نشأ على اللهو والعبث وغلب عليه سبك السبكرى – غلام عمرو بن الليث ، ولم يكتف السبكرى بذلك ، بل قبض على الأمير الصغير ، وعلى اخيه يعقوب ٢٩٠هـ – ٩٠٣م ، وبعث بهما إلى بغداد ، حتى لا يبقى له شريك في الملك .

على أن الامور لم تصف للسبكرى ، بعد تخلصه من الأمراء الصفاريين سنة ، ففي سنة ٢٩٧هـ – ٩٠٩م سار الليث بن علي بن الليث إلى فارس ، وتغلب عليها ،

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وطرد منها السبكرى ، فاستنجد السبكرى بالخليفة المقتدر الذي أمده بجيش ، أوقع الهزيمة بالليث الصفاري وأسره ، على ان السبكري رغم موقف الخلافة المؤيد له ، تمرد على الخليفة وامتنع عن أداء الأموال المقررة عليه ، فسعت الخلافة إلى التخلص منه ، وانتزعت منه فارس ، وسار الأمير إسماعيل الساماني إلى سجستان ، واستولى عليها ، وقبض على سبك السبكرى وعلى محمد بن علي بن الليث الصفار ، وبعث بهما إلى بغداد ٢٩٧هـ – ٩١٠م ومن ثم زالت الدولة الصفارية .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

امراء الاسرة السامانية

١. نصر الأول بن احمد بن سلمان (٢٦١-٨٧٤م)
٢. اسماعيل بن احمد (٢٧٩هـ/٨٩٢م).
٣. احمد بن اسماعيل (٢٩٥هـ/٩٠٧م)
٤. نصر الثاني بن احمد (٣٠١هـ/٩١٣م).
٥. نوح الاول بن نصر الثاني (٣٣١هـ/٩٤٢م).
٦. عبد الملك بنو نوح (٣٤٣هـ/٩٥٤م).
٧. منصور الاول بن نوح (٣٥٩هـ/٩٦١م)
٨. نوح الثاني بن منصور الاول (٣٦٦هـ/٩٧٦م)
٩. منصور بن نوح الثاني (٣٨٧هـ/٩٩٧م)
١٠. عبد الملك الثاني بن نوح (٣٨٩هـ/٩٩٩م)

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٣- الامارة السامانية ٢٦١-٣٨٩هـ/٨٧٤-٩٩٩م

ينتمي السامانيون الى احدى الاسر الفارسية في مدينة بلخ ، التي كانت تدين بالزرادشتية ، ثم أسلم جدهم سامان على يد الوالي الاموي اسد بن عبد الله القسري. وقدم خدمات كبيرة للدولة العباسية ، وترك أسد بعد وفاته اربعة اولادهم : نوح واحمد ويحيى والياس . فساروا على نهج ابيهم في تأييد الخلافة العباسية ،فلعبوا دورا في اخماد حركة رافع بن الليث في عهد المأمون . ولما انصرف الاخير الى بغداد ولي على خراسان وليا من قبلهُ ، فقربهم الوالي الجديد وأسند اليهم حكم بعض ولايات اقليم ما وراء النهر.

وكان احمد بن أسد اطول اخوته عمرا ، فآل اليه حكم ولاياتهم ، كما ضم إليه بعض اجراء بلاد تركستان في سنة ٢٤١هـ . ولما توفي احمد هذا في عام ٢٥١ هـ هفي الحكم ولده نصر الذي اتخذ مدينة سمرقند مقرا لحكمه وظل نصر يتولى حكم البلاد نيابة عن الطاهريين ، حتى انقراض امارتهم على يد الصفاريين سنة ٢٥٩هـ.

وقد عمل نصر بن احمد على توسيع رقعة بلاده وشمالا ، فنجح في اخضاع القبائل التركية الوثنية ، وقام بنشر الاسلام بينها ، فحصل بذلك على رضا الخلافة العباسية وتأييدها . وكان سقوط الامارة الطاهرية على يد الصفاريين قد هيأ للسامانيين فرصة الاتصال المباشر مع الخلافة العباسية ، فوجدت الاخيرة ان المصلحة تقتضي تأييد هذه الدولة الفتية ، فسارعت الى الاعتراف بشرعية حكم السامانيين وارسلت اليهم التقليد والخلع ، وكانت تهدف من وراء ذلك الحد من نفوذ الصفاريين في الاقاليم الشرقية وخلق قوة جديدة تقف حائلا دون تنفيذ سياستهم التوسعية وتهديدهم للخلافة . وقد قابل السامانيون انعام الخلافة بسرور بالغ وارسلوا الهدايا والاموال الى الخليفة في بغداد بعد ان كانوا يحملونها الى الطاهرين من قبل .

وانصرف السامانيون بعد ذلك الى تنظيم امارتهم واتمام سيطرتهم على اقليم ما وراء النهر ، واصبحوا في فترة وجيزة يشكلون قوة لا يستهان بها في المنطقة ، فاستنجد بهم أهل بخاري حين تعرضت مدينتهم الى غزو الحسين بن طاهر امير خوارزم عام ٢٥٩هـ. وقد استجاب الامير الساماني لندائهم وانفذ اليهم اخاه اسماعيل على رأس

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

قوة كبيرة ، فدخل بخاري وقضى على الفوضى وأعاد الامن والاستقرار الى المدينة وتولى حكمها نيابة عن أخيه ، واسقط اسم يعقوب بن الليث من الخطبة في سنة ٢٦١هـ ، وارسل الامير نصر الى بغداد يلتمس التقليد بحكم البلاد التي تقع تحت سيطرته ، فأجابه الخليفة الى ذلك.

غير ان العلاقات بين اسماعيل واخيه نصر ما لبثت ان تدهورت بسبب سعاية جماعة من اهل بخاري ، الذين وجدوا ان حكم اسماعيل بات يشكل خطرا على مصالحهم ، بعد الاصلاحات التي اقدم عليها في المنطقة ،وضمانه لحقوق المزارعين تأزم الموقف بينهما في عام ٢٧٥هـ ، واندلع القتال بين الطرفين ، وانتهى باندحار احمد ووقوعه في أسر اخية اسماعيل ، فقوبل مقابلة حسنه واعتذر اسماعيل لأخيه واعادة الى سمرقند ، حيث ظل يحكمها حتى وفاته في جمادي الآخر من عام ٢٧٩هـ ، بعد ان اوصى بالأمارة لأخيه اسماعيل من بعده .

اقترن حكم اسماعيل بموافقه الخلافة العباسية ، وتهيأ له العمل على نشر الاسلام بين القبائل الوثنية.

وكان لهذه الانتصارات أثرها في نفس الخليفة العباسي ، فارسل يبارك لأمراء هذه الاسرة جهادهم في سبيل الاسلام ، فارتفعت بذلك مكانتهم في اقليم ما وراء النهر.

السامانيون والامارة العلوية في طبرستان :

كانت هزيمة الصفارين (٢٨٨هـ) ووقوع زعيمهم عمرو بن الليث اسيرا بيد السامانيين حافزا للعلويين في اقليم طبرستان للسيطرة على خراسان ، فسارع محمد بن زيد العلوي (٢٧٠-٢٨٩هـ) بالزحف نحو هذا الاقليم ، وبلغت جيوشه ولاية جرجان ، فلما علم اسماعيل الساماني بتحرك العلويين ، عمد الى مراسلة اميرهم محمد بن زيد العلوي ، محاولا اقناعه بالعودة عن خراسان . وعرض عليه التنازل عم ولاية جرجان ، الا ان العلوي رفض ذلك وأصر على دخول خراسان ، فاضطر اسماعيل الى مواجهته ورده عن البلاد ، ودارت الحرب بين الفريقين على باب جرجان ، فتظاهر السامانيون بالهزيمة ، ثم لم يلبثوا ان عاودوا الهجوم فجأة ، وكان العلويون

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

قد تفرقوا واضطربت صفوفهم ، فانهزموا وخسروا عدد كبير منهم وأصيب محمد بن زيد بجروح خطيرة مات على اثرها بعد ايام قلائل ، كما وقع ولده زيد في الاسر وحمل الى اسماعيل فاكرمه وأنزله بخاري . وواصل السامانيون تقدمهم بعد هذه المعركة فاستولوا على طبرستان وانهوا حكم العلويين هناك في سنة ٢٨٩هـ.

وتولى حكم طبرستان محمد بن هارون ، الذي ضم اليه بلاد الري بعد ان استدعاه اهلها لانقاذهم من ظلم أميرهم وسوء سياسته فيهم ، فدخل الري وقتل الحاكم التركي مع ولديه واخيه في شهر رجب من سنة ٢٨٩هـ . غير ان محمدا بن هارون هذا لم يلبث ان خرج على طاعة اسماعيل الساماني .

وما أن فرغ اسماعيل من القضاء على تمرد قائده محمد بن هارون ، حتى واجه خطرا آخر من جانب قبائل الاتراك الوثنيين ، الذين حشدوا قواتهم على حدود الامارة السامانية في سنة ٢٩١هـ . فجهز اسماعيل جيوشا كثيفة ، فنجح في وقف تقدمهم وانزل بهم هزيمة حاسمة ، ثم عاد الى مهاجمتهم بعد عامين أي في سنة ٢٩٣هـ ، فأوغل في بلادهم ، وافتتح عدة مواقع ، كما استولى على مواضيع جديدة في بلاد الديلم .

وفاة اسماعيل وولاية ولده احمد :

في شهر صفر من عام ٢٩٥هـ توفى اسماعيل بن احمد ، بعد ان وطد اركان الامارة السامانية في اقليم ما وراء النهر ، وبذل جهودا كبيرة في تنظيم امورها وتدعيم نفوذها ، وقد بلغت الامارة في عهده اقصى درجات القوة ، وفرضت سيطرتها على مناطق واسعة ، كما حازت على ثقة وتأييد الخلافة العباسية ، وظهرت بمظهر الحامي للإسلام في الاقاليم الشرقية .

وبفضل الاستقرار الذي توفر في عهد اسماعيل ، استمر حكم السامانيين من بعده الى نحو مائة عام على الرغم من ضعف شخصية من خلفوه وحداثة سنهم .

وقد جرت بين السامانيين والبويهيين سلسة من معارك تبادلا خلالها النصر والهزيمة ، وعمت الاضطرابات ارجاء الامارة السامانية ، فانفصلت بعض الاقاليم واعلنت استقلالها ، فقد سعى ركن الدولة البويهي ، للحصول على تفويض الخلافة بولاية

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

خراسان ، فأجيب طلبه ، ودخل خراسان ، واستولى على نيسابور وخطب للمطيع لأمر الله العباسي في سنة ٣٤٣هـ ، فحاول جاهدا الاحتفاظ بنفوذ السامانيين في الجهات الغربية .

ولم يستمر عبدالملك بن نوح طويلا اذ سرعان ما لقي مصرعه على أثر سقوطه عن ظهر جواده سنة ٣٥٠هـ ، وخلفه اخوه منصور بن نوح ، وفي عهد منصور هذا عصفت بالدولة السامانية الفتن والاضطرابات وسارت في طريق الاضمحلال ، بسبب النزاع بين أمراء الاسرة السامانية من جهة ، واستقلال الولاة بالأقاليم من جهة اخرى ، بالإضافة الى تطلع البويهيين للاستيلاء على املاك الدولة السامانية ، ففي سنة ٣٥٢هـ اقام القائد البتكين امارة في غزنة مستغلا ضعف الدولة وحالة الفوضى التي تسود البلاد ، واعلن عن قيام امارته في عهد الامير منصور بن نوح الذي اضطر الى الاعتراف بحكمه على ان يؤدي له ضريبة سنوية مقدارها خمسون الف دينار . كما انتهت حروب منصور مع ركن الدولة البويهي الى نفس النتيجة التي انتهت اليها مع البتكين ، فقد عقد الصلح بينهما في سنة ٣٦١هـ على ان يحمل ركن الدولة وولده عضد الدولة الى منصور مائة وخمسون الف دينار، ثم تصاهر البيتان وتزوج ابن منصور من ابنه عضد الدولة ، واستقر السلام بين الطرفين .

وفي سنة ٣٦٦هـ توفي منصور بن نوح في بخاري ، وتولي الامر من بعده ولده ابو القاسم نوح الثاني (٣٦٦-٣٨٧هـ) ، وامتاز عصره بكثرة الانقسامات وتفاقم الخلاف بين الوزراء انفسهم ، فنافسوا قادة الجيش في تقسيم البلاد واقتطاع اجزائها.

وتعرض السامانيون في هذه الظروف لضغط خانات الاتراك الذين دخلوا الاسلام على يد السامانيين ، فقد تطلع زعيمهم بغراخان الى الاستيلاء على املاك السامانيين

سقوط الامارة السامانية :

في رجب من سنة ٣٨٧هـ توفي الامير نوح بن منصور ، وكانت وفاته ايذانا بسقوط الاسرة السامانية وزوال امارتهم .

وخلف نوح في الحكم ولده ابو الحارث منصور الثاني (٣٨٧-٣٨٩هـ) ،وقد تميز عصر منصور بكثرة الفتن والحروب ، فعانت الامارة السامانية من غزو القره خانيين

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

، وتآمر كل من فائق الخاصة وبكتوزون قادة الجيش الساماني ، اللذين اتفقا على خلع منصور عن الامارة وتولية اخوه عبدالملك بن نوح وكان صبيا صغيرا ، فأستأثرا بالسلطة ، فأثار ذلك محمود بن سبكتكين ، فخرج لقتالهما ، وانزل بهما هزيمة منكرة آخر جمادي الاول سنة ٣٨٩هـ ، واستولى على خراسان ، وأزال ما بقي للسامانيين من سلطة اسمية ، وخطب للخليفة القادر بالله العباسي .

وقد شجعت هذه الظروف ايلك خان حاكم كأشعر (القره خاني) ، فزحف نحو بخاري اواخر عام ٣٨٩هـ ، وحاول عبد الملك بن نوح الهرب ، الا انه لم يفلح في ذلك ، ووقع في قبضة عدوه ، فأمر بسجنه مع باقي افراد اسرته .

وانتهى بذلك حكم الاسرة السامانية وانقسمت املاكها بين الغزنويين والقره خانيين الذين تولوا الثغر الشرقي في بلاد ما وراء النهر .

٤- الامارة الزيدية ٢٥٠هـ-٣١٦هـ / ٨٦٤-٩٢٨م

كان اقليم طبرستان من الاقاليم ذات التضاريس الجبلية الصعبة والمسالك الوعرة ولذلك لم تستطع الخلافة في صدر الاسلام ان تتوغل فيها ولم يكتب للاسلام الانتشار الواسع هناك.

هرب الى بلاد الديلم يحيى بن عبدالله الحسني بعد فشل حركة الحسين بن علي ا في الحجاز ومقتله في موقعه فخ سنة ١٦٩هـ على عهد الخليفة العباسي الهادي . وبدأ يحيى ينشر الاسلام والدعوة الى العلويين بين الديالمة ولذلك لقب بصاحب الديلم . وقد استطاع الرشيد عن طريق الفضل البرمكي ان يقنعه بالعدول عن ذلك والعودة الى بغداد حيث سجن هناك . الا ان ن نشاطات يحيى تعد بدايات الدعوة الى الاسلام في طبرستان والديلم .

استمرت الدعوة الى الاسلام من جانب العلويين في طبرستان ومن ابرز رجال الدعوة العلوية بطربستان الحسن بن زيد الذي جعل الري مركزا له ثم انتقل بعد ذلك الى طبرستان واعلن معارضته للعباسيين وممثليهم الطاهريين ، ويعتبره المؤرخون مؤسس الامارة العلوية في هذه المنطقة .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وكان يحكم اقليم خراسان الواقعة تحت النفوذ الطاهري الامير سليمان بن عبد الله بن طاهر وكان متعسفا مما هيأ الظروف للحسن بن زيد الذي دعته بعض الفئات المتمردة للدخول الى طبرستان حيث بويع سنة ٢٥٠هـ " على كتاب الله وسنة نبيه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر " وتمكن من طرد الأمير الطاهري عن طبرستان.

تعد بيعة الحسن بن زيد في المسجد الجامع بمدينة امل بداية النفوذ العلوي في طبرستان سنة ٢٥٠هـ وقد استمر حكمة حتى سنة ٢٧٠هـ سنة ٨٨٣م . والحسن من آل الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) وقد اتخذ لقب الداعي الى الحق رسميا وكان يدعى كذلك الداعي الكبير .

انشغل الحسين بن زيد خلال سني حكمه الاولى بتثبيت الاوضاع السياسية المضطرية في طبرستان ولكن الطاهريين استطاعوا الانتصار عليه في معركة حامية وصلت اصداء انتصاراتها الى بغداد واذيعت في مساجدها عودة الحكم العباسي الى طبرستان بواسطة الطاهريين . ولكن الحسن بن زيد اعاد الكرة واستطاع دحر الطاهرين الذين تخلوا نهائيا عن طبرستان .

كما واجه الحسن بن زيد مقاومة اهل الجبل من سكان طبرستان بقيادة الاصبهيد قارن مما يدل على ان العلويين بمذهبهم الزيدي لم يستطيعوا ان يكسبوا كل الفئات في طبرستان وخاصة تلك المتمسكة بتقاليدها القديمة . وقد ظلت هذه الصراعات بين الطرفين سنين عديدة دون نتيجة حاسمة .

لقد توسعت الدولة الطبرية على عهد الحسن بن زيد فشملت طبرستان والديلم والري وقزوين وزنجان وجرجان ، ولم يتمكن الطاهريون رغم تأييد الخلافة لهم من الوقوف في وجه التوسع الطبري في هذه الاقاليم . والواقع ان الخلافة العباسية كانت تدرك ابعاد خطر وجود نفوذ علوي على ابواب العراق خاصة بعد ان امتدت الامارة العلوية لتشمل الري . ولكن الخلافة كانت ضعيفة وممثليها في خراسان والمشرق وهم الطاهريون كانوا يمرون بأدوار ضعفهم وانحلالهم .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

واجه الحسن بن زيد العديد من الحركات والقلاقل ولكنه تمكن خلال سني حكمه الاخيرة من ان يحكم امارته بنوع من الاستقرار النسبي وتوفي سنة ٢٧٠ هـ بعد ان اوصى لأخيه محمد بالحكم .

نقل مركزه من أمل مقر الداعي الاول الى جرجان وجعلها مقرا لحكمه ومعسكر لجيشه . وبقيت العلاقات ودية بين محمد بن زيد وعمرو بن الليث الصفار الذي كان مشغولا في حروبه مع الساسانيين في خراسان وما وراء النهر .

الا ان الصراع الصفاري – الساماني امتد في خراسان وانتهى بالقضاء على الصفاريين ثم وجه اسماعيل بن اسد الساماني كتابا الى محمد بن زيد يأمره بالانسحاب من جرجان وتركها للسامانيين. وقد وقعت المعركة بين الطرفين في باب جرجان وانتصر فيها السامانيون وقتل محمد بن زيد الداعي الثاني سنة ٢٨٧هـ بقيت طبرستان بيد السامانين حتى ظهر الحسن بن علي الاطروش . وكان الاطروش قد التجأ الى الديلم بعد معركة جرجان سنة ٢٨٧هـ وروج لزعامته ولنشر الاسلام بين الجيل والديالمة واجابة كثير منهم حيث حاول استرداد طبرستان سنة ٢٨٩هـ دون جدوى . الا ان ضعف السامانين وانشقاقهم شجعه على اعادة الكرة حيث نجح في استعادتها سنة ٣٠١هـ وبذلك استعادت الامارة العلوية سيرتها الاولى وظلت الامامة في اولاده حتى انتهت سنة ٣١٦هـ وقد صاحب انتهائها مذبحه رهيبة قام بها احد رؤساء الديلم المدعو اسفار بين شيرويه حيث جمع العديد من العلويين وقتلهم وارسل البقية الباقية منهم الى الساسانيين ولكن اسفار نفسه تعرض الى مؤامرة أودت بحياته وسيطر على الحكم مرداويج بن زيار .

٥- الا مارة الزيارية ٣١٥-٤٧٠هـ / ٩٢٨- ١٠٧٧م

قد انتشر في بلاد الديلم الاسلام وتكونت امارة زيدية في طبرستان ولكنها لم تلبث ان ضعفت وتقاسم اراضيها الامارات المجاورة وخاصة السامانية وكذلك الامراء الديلم المحليون الطموحين أمثال مرداويج بن زيار الذي كان احد قادة الجيش في الدولة الطبرية الزيدية ولكن الجو السياسي صفا له بعد مقتل منافسيه من القادة الكبار

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

فنجح في لم شعت الديالمة وكون له كيانا سياسيا سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م شمل اجزاءا من طبرستان وجرجان والري .

وحين امتد نفوذ مرداويج الى الاحواز كشف عن نواياه وبدأ يفكر جدياً بالهجوم على بغداد.

فقد واجه البويهيين من جهة والسامانيين من جهة اخرى كان قد تبادل معهم النصر والهزيمة .

وتمكن الزياريون من التحكم في طريق القوافل التجارية بين بلادج فارس ، العراق وخراسان وطد اخوه (وشمكير) (٣٢٤-٣٥٧هـ/٩٣٥-٩٦٧م) دعائم الدولة.

بلغت الدولة اوجها أثناء عهد شمس المعالي قابوس بن وشمكير (٣٦٧-٤٠٤هـ) ، وقد عرف بتشجيعه للعلوم والفنون وقد واجه ضغوطاً من طرف البويهيين انتهى به الأمر الى أن وضع نفسه تحت حماية الغزنويين . زاد ارتباط الزياريين بالغزونوين عندما أصبح فلك المعالي (منوجهر) (٤٠٤-٤٢١هـ/١٠١٣-١٠٣٠م) صهرا للسلطان محمود الغزنوي .

أصبح الزياريون منذ سنة (٤٣٤هـ/١٠٤٤م) تحت سلطة السلاجقة ،وقد تنازلوا لصالحهم عن العديد من المناطق التابعة لهم . وذلك قبل أن يتم اجلائهم نهائياً عن المنطقة سنة (٤٨٣هـ/١٠٩٠م).

٦- قيام الامارة الغزنوية ٣٥١-٥٨٢هـ /٩٦٢-١١٨٦م

ترجع علاقة المسلمين ببلاد الهند الى العصر الاموي ، حيث استطاع المسلمون تحرير اقليم البنجاب وحوض السند ، وكان اكتساب اقليم السند الصبغة الاسلامية في هذه الفترة مقدمة لظهور امارة مستقلة هي الامارة الغزنوية التي استمرت نحو قرنين وربع قرن من الزمن (٣٥١-٥٨٢هـ) .

وتنسب الدولة الغزنوية الى سبكتكين احد مماليك القائد التركي البتكين ، الذي كان قد ابتاعه من التاجر نصر حاجي ، الذي اشتراه بدوره من احدى القبائل المجاورة التي أسرته في احدى حملاتها على بلاد تركستان .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وانصرف سبكتكين بعد ذلك الى بناء دولة قوية ، فتهيأت له الفرصة في السنة الاولى من توليه الحكم في الاستيلاء على مدينة بست في سجستان ، حين استنجد به حاكما المدعو (طغان) على احد الثائرين الذي استولى على بست وطرده منها ، فسار سبكتكين على رأس جيوشه وتمكن من القضاء على تلك الحركة واعادة طغان الى بلده ، بعد ان تعهد له الاخير بدفع مبلغ من المال نظير مساعدته ، الا ان طغان لم يف بوعده وما طل في دفع المال ، فنشب القتال بينهما ، وانتهى باستيلاء سبكتكين على بست ، كما اخضع في العام نفسه حاكم مدينة قصدار والزمة بدفع مبلغ من المال وان يذكر اسمه في الخطبة ويضرب على السكة .

توسيع الغزنزيون في بلاد الهند في عهد سبكتكين وولده محمود :

استعد سبكتكين بعد عودته الى عزنة لتنفيذ سياسته الرامية الى توسيع رقعة بلاده وتأمين حدود مملكته ، فتوجه شطر اقاليم الهند ، فنجح في الاستيلاء على بعض المواقع الجبلية الحصينة ، فأثار بذلك مخاوف احد ملوك الهند المسمى (جيبال) الذي وجد استيلاء سبكتكين على اطراف بلاده تهديدا خطيرا لمملكته ،فاندلعت الحرب بين الطرفين واستطاع سبكتكين ان ينتزع النصر ويلحق بخصمه هزيمة ساحقة في سنة ٣٦٩هـ واجبره على طلب الصلح نظير مبلغ (مليون شاهية) وخمسون فيلا وعدد من المدن والقلاع ، وابقى سبكتكين لديه عدد من افراد اسرته رهائن ليضمن عودة الوفد الغزنوي من الهند ، الا ان جيبال نكث العهد ، وقبض على اعضاء الوفد ، وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه لدى سبكتكينن ، فلما علم الاخير بذلك اسرع بالمسير نحو الهند ، فهاجم (لمغان) ، واستولى عليها عنوة على الرغم من حصانتها ، وحطم اصنامها واقام فيها شعائر الاسلام ثم عاد الى غزنة ، اما جيبال فقد اتفق مع عدد من الامراء المجاورين على قتال سبكتكين ، فجهز جشيا كبيرا اتجه به الى غزنة ، فخرج سبكتكين للقائه وأشتبك معه بمعركة عنيفة انتهت بهزيمة جيبال وحلفائه ، وابيد معظم جيشهم ، وأرغم جيبال على عقد الصلح على مال يؤديه ومائتين من الفيلة .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

اما في الشرق فقد استطاع سبكتكين ان يوطد مركزه على حساب السامانيين الذين انحسر نفوذهم وانكمشت اراضيهم .

وخلف سبكتكين في حكم الامارة الغزنوية ولده محمود (٣٨٧-٤٢١هـ)الذي امتاز عهده بنشاط حركة الجهاد الاسلامي في الهند ، فغزا هذه البلاد اثني عشرة مرة ، ووصلت حملاته الى هضبة الدكن ، وضم الى مملكته بلاد البنجاب ، كما اخضع بلاد الغور فيما بين غرنة وهراة ، ومد نفوذه الى بلاد ما وراء النهر ،

وبدأ محمود الغزنوي في الفترة ما بين (٣٩٠-٤١٧) بشن عدة حملات على بلاد الهند ، فخرج في سنة ٣٩٢هـ الى البنجاب وانتصر على ملكهم في السنة المذكورة ، وحصل المسلمون على غنائم كثيرة وأسروا اعدادا كبيرة من سكان الاقليم ، وفي سنة ٣٩٦هـ استولى السلطان محمود الغزنوي على مدينة الملتان ، ثم تابع تقدمه نحو قلعه كواكير ، التي كانت تضم ستمائة صنم ، فدخلها عنوة واحرق اصنامها ، وكان السلطان ينوي مواصلة تقدمة في الهند الا انه اضطر للعودة الى خراسان بعد ان بلغه اضطراب الاحوال بها ، ويبدو ان الانتصارات السلطان محمود الغزنوي في بلاد الهند قد اثارت الخوف والرعب في قلوب ملوكها فحاولوا توحيد جهودهم وحشد قواتهم لإيقاف الزحف الغزنوي في بلادهم ، فدارت بينهم وبين الغزنويين معارك طاحنة في ربيع الآخر من عام ٣٩٨هـ على ارض البنجاب ، وكاد الهنود يظفرون بالمسلمين في بادئ الامر ، الا ان محمود ما لبث ان اوقع بهم هزيمة ساحقة.

وتوالت حملات محمود الغزنوي على بلاد الهند ، فقصدها في سنة ٤٠٠ هـ وحارب الهنود وهزم احد ملوكهم ، ثم صالحه على مال يؤديه ، ثم خرج ثانية في سنة ٤٠٤هـ ، وتمكن من الاستيلاء على (ناردين) احد المواقع الحصينة في بلاد الهند ، ثم عاد الى غزنة وارسل الى الخليفة العباسي القادر بالله يطلب تقليده اقليم خراسان وما بيده من البلدان ، فاجابه الخليفة الى ذلك.

وفي سنة ٤١٠ هـ وصلت جيوش السلطان محمود الى باران في شمال الهند ، واخذ الهلع والخوف من نفس (هاردنا) احد ملوك الهند ، فدخل الاسلام مع عشرة الاف من رجاله ، وتوغل محمود في بلاد الهند ، فدخل سومنات في سنة ٤١٦ هـ والحق

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الهزيمة بأمراء الهند الذين حشدوا قواتهم دفاعا عن معبدهم الاكبر ، وكتب السلطان محمود الى الخليفة القادر بالله يخبره بهذا النصر الذي احرزه على ملوك الهند .
واتسعت الامارة الغزنوية بعد هذه السلسلة من الانتصارات التي تحققت على يد السلطان محمود ، واتخذ محمود مدينة (لاهور) مقرا لحكومته بالهند.

النزاع بين الغزنويين والسلاجقة :

كان لتعاظم قوة السلاجقة في بلاد ما وراء النهر مع بدايات القرن الخامس الهجري اثرها السيء في نفوس الغزنونيين ، فقد خشي السلطان محمود ان يكونوا شوكة في ظهره تشغله عن مواصلة حروب في بلاد الهند ، ففكر في ابعادهم عن بخاري ، وعبر نهر جيجون في سنة ٤١٥هـ ، الا ان ارسلان بن سلجوق انسحب عنها ، فعمد محمود الى اصطناع الحيلة والدهاء للايقاع بالسلاجقة ، فنجح في القبض على زعيمهم ارسلان وولده قتلمش مع عدد من كبار اصحابه وبعث ارسلان الى بلاد الهند ، حيت امضى في السجن سبع سنوات وتوفي في سنة ٤٢٢هـ ،
ولم يمض على هذه الحادثة سوى اربع سنوات ، حتى خرج السلطان محمود لقتال السلاجقة تلبية لنداء سكان مدينتي (نسا) و(باورد) الذين التمسوا منه ابعاد السلاجقة عن بلادهم وحذروه من تعاظم نفوذهم في المنطقة ، فتولى محمود قيادة الجيش بنفسه ، وانزل بالسلاجقة هزيمة نكراء في سنة ٤١٩هـ ،
وظل السلاجقة بعد هذه الهزيمة ينتظرون الفرصة المناسبة للثأر من الغزننويين ، وتم لهم ذلك بعد وفاة السلطان محمود وقيام ولده مسعود بالسلطنة (٤٢١-٤٣٢هـ) ، فقد اشتعلت الحرب بينهما من جديد ، وحقق السلاجقة نصرا كبيرا على جيوش السلطان مسعود على الرغم من ضخامتها وكثرة عدتها ، وقد بادر السلاجقة بعد انتصارهم هذا للاتصال بالسلطان مسعود وعرضوا رغبتهم في الصلح والدخول في طاعته ، فاستجاب لطلبهم ووزع على زعمائهم الولايات ، ومنحهم الخلع والالقاب .
الا ان هذا الصلح لم يضع حدا للنزاع بين السلاجقة والغزنويين ، فالواقع ان الغزنويين كانوا يدركون تماما مدى الخطر المحدق بدولتهم من جانب السلاجقة الذين تنامت قوتهم واتسعت رقعة بلادهم واصبحوا يهددون البلاد الغزنوية ويعلمون على

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

أزالتها نهائيا ، فأوعز السلطان مسعود الى عامله في خراسان سنة ٤٢٩هـ بالخروج لقتال السلاجقة ، فدارت الحرب بين الفريقين على ابواب مدينة سرخس وانتهت بانتصار السلاجقة وهزيمة الجيش الغزنوي .

ويعتبر انتصار السلاجقة في هذه المعركة ايذانا بقيام دولتهم ، فقد اندفعوا بقيادة طغرلبك الى نيسابور ، فدخلها ونادى بنفسه سلطانا على السلاجقة وجلس على عرش مسعود الغزنوي في ذي القعدة من سنة ٤٢٩هـ ، وكان رد فعل الغزنويين عنيفا ، فهب مسعود مذعورا لدى سماعه نبأ قيام الدولة السلجوقية واعتلاء طغر لبك عرشة في نيسابور ، فاندفع على رأس جيوشه نحو خراسان واشتبك مع السلاجقة في معركة ضارية في موضع يعرف باسم (داندنقان) انتهت بهزيمة الغزويين في رمضان من سنة ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م .

ولم يلبث السلطان مسعود ان لقي مصرعه في سنة ٤٣٢هـ ، واستقر بالحكم من بعده ولده مودود بن مسعود (٤٣٢-٤٤١هـ) ، وبعد معركة داندانقان لم يعد الغزنويون يفكرون في مهاجمة السلاجقة او مناوأتهم ، بعد ان فقدوا معظم جيوشهم ، وخسروا اجزاء كبيرة من اراضيهم امام السلاجقة الذين اصبحوا اكبر قوة في اقليم خراسان ، ولم يكن السلاجقة وحدهم الذين يهددون الدولة الغزنوية فحسب ، بل ان الدولة تلقت ضربات شديدة من خانات التركستان ، وضاعت منها املاكها في الشرق ، ولم يلبث الغوريون في بلاد الافغان ان استولوا على املاك الغزنويين وحلوا محلهم واتجهوا الى بلاد الهند وقضوا على نفوذ الغزنويين في لاهور . وانتقلت بذلك رعاية الثغر الهندي من يد الغزنويين الى الغوريين .

٧- الامارة الخوارزمية ٤٩٠-٦٢٨هـ/ ١٠٩٧-١٢٣١م

قيام الدولة الخوارزمية وتطورها :

نشأت الدولة الخوارزمية في الاقليم المعروف بإقليم خوارزم.ويرجع نسب ملوك هذه الدولة الى مملوك تركي اسمه انوشتكين كان قد اشتراه احد الامراء السلاجقة من بلاد (غرجستان) المعروفة ببلاد الغور.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وشغل انوشتكين هذا وظيفة(طشت دار) في البلاط السلجوقي ، فأظهر كفاءة اتاحت له التدرج في الوظائف السلجوقية ، فعينهم السلطان ملكشاه بن الب ارسلان (٤٦٥-٤٨٥هـ) واليا على اقليم خوارزم في سنة ٤٧٠هـ ، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته في سنة ٤٩٠هـ . وقد عمت الاضطرابات اقليم خوارزم بعد وفاة انوشتكين وقع اختياره السلطان بركياروق بن ملكشاه على قطب الدين محمد بن انوشتكين فعينه واليا على اقليم خوارزم ، ولقبه خوارزم شاه اي ملك خوارزم اواخر سنة ٤٩٠هـ وكان ذلك هو قيام الدولة الخوارزمية التي اخذت تظهر على مسرح التاريخ تدريجيا ، مع اعلان تبيعتها للسلاجقة، وقد ظل قطب الدين محمد مخلصا للسلطنة السلجوقية حتى وفاته سنة ٥٢١هـ.

تطلع الخوارزميون نحو الاستقلال عن السلاجقة:

اسند السلطان سنجر السلجوقي (٥١٣-٥٥٢هـ) حكم اقليم خوارزم الى علاء الدين اتسز بن محمد بن انوشتكين الذي استطاع كسب ثقة السلطان فصحبه في اسفاره وحروبه ، واثبت مقدرته وكفايته عززت من مكانته ، ثم انصرف بعد ذلك الى تثبيت مركزه وتوطيد نفوذه في البلاد استعدادا لتنفيذ سياسته الرامية الى الاستقلال عن الدولة السلجوقية، فبدا بذلك مرحلة جديدة من النزاع بين السلاجقة والخوارزميين .

ولم يجد السلطان سنجر بدا من السير لقتال اتسز ، فدارت معركة عنيفة بين الطرفين في شهر محرم من عام ٥٣٣هـ بالقرب من (هزار اسب)كان النصر فيها حليف السلاجقة ، الا ان اتسز ما لبث ان عاد الى خوارزم بمساعدة الاهالي ، غير انه خشي من تجدد القتال بينه وبين سنجر فسعى الى مصالحته واسترضائه ، فارسل اليه مؤكدا ولاءه وطاعته له ويتعهد بعدم الخروج عليه مرة اخرى .

غير ان اتسز سرعان ما نقض الصلح وشرع بمهاجمة املاك السلاجقة فاستولى على بخاري في سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م ثم سعى للتحالف مع قبائل الخطأ التركية وحثهم على مهاجمة ممتلكات السلاجقة فشرعوا في مهاجمتها فاضطر السلطان سنجر الى الخروج لقتالهم ودارت بين الفريقين معركة كبيرة قرب سمرقند سنة ٥٣٦هـ ، خسر فيها السلاجقة عدد كبير من القتلى وهرب سنجر الى بلخ .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

واستغل خوارزم شاه هزيمة سنجر امام الخطأ واضمحلال قوته ، فهاجم خرسان واستولى على مدينة (مرو)ثم قصد نيسابور فدخلها وقطع خطبة سنجر ، واستولى على اموال السلطان ونهب خزائنه وعاد الى خوارزم.

ولم يحرك السلطان سنجر ساكنا ازاء تجاوز اتسز واعتدائه على حاضرة ملكه خوفا من تحالفه مع الخطأ ، غير انه صمم على الانتقام في الوقت المناسب، فلما كانت سنة ٥٣٨هـ خرج سنجر لقتال خوارزم شاه اتسز ، وجرى قتال ، فارسل الى سنجر يطلب العفو ويبذل له الطاعة ، فعفا عنه ، وتعهد اتسز بالتنازل عن كل ما استولى عليه من خراسان خلال انشغال السلطان بحرب الخطا عام ٥٣٦هـ، كما تعهد بإعادة الاموال التي استولى عليها.

وتهيأت الظروف لخوارزم شاه اتسز ليعلن استقلاله نهائيا عن السلاجقة في سنة ٥٣٨هـ ، بعد ان اخفق السلطان سنجر في القضاء عليه وصار الخوارزميين بعد هذا التاريخ كيان سياسي مستقل ولم يبق امامهم سوى الحصول على موافقة واعتراف الخليفة العباسي ليكسبوا حكمهم الصفة الشرعية امام رعاياهم وتحقيقا لهذا الهدف بعث خوارزم شاه الى الخليفة المتقي لأمر الله (٥٣٢-٥٥٥هـ) رسالة اكد فيها اخلاصه وولاء للخلافة وطلب الى الخليفة ان يوليه خوارزم فلم يتردد الخليفة في اجابة طلبه وبعث اليه بالخلع والتشريفات. اما علاقة خوارزم شاه اتسز بالسلطان السلجوقي سنجر فقد عادت الى التأزم واندلعت الحرب بينهما من جديد في سنة ٥٤٢هـ ولم يحقق سنجر هدفه في القضاء على الخوارزميين فاضطر الى الاعتراف بخوارزم شاه اتسز حاكما مستقلا عن الدولة السلجوقية .

خلفاء خوارزم شاه اتسز:

خلف خوارم شاه اتسز في حكم الدولة الخوارزمية ولده ايل ارسلان (٥٥١-٥٦٨ هـ) فعمل على تدعيم مركزه ومد نفوذه الى الاقاليم المجاورة ، فتمكن من انتزاع بعض مدن خراسان واقيمت له الخطبة فترة من الزمن ، ثم اعيدت للسلطان ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

ولم يلبث ايل ارسلان بن اتسز ان توفي في سنة ٥٦٨هـ فتفجر الصراع بين ولديه علاء الدين تكش وسلطان شاه ، وكان قد عهد بالحكم من بعده لولده سلطان شاه ، الا انه اخاه الاكبر تكش ، لم يرض بذلك فجرت بين الاخوين سلسلة من الحروب انتهت بأبعاد سلطان شاه عن خوارزم ورحيله الى خراسان حيث تمكن بمساعدة قبائل الخطأ من الاستيلاء على مرو وسرخس ونسا وابيورد وظل يحكم هذه المدن حتى وفاته في سنة ٥٨٩هـ حيث تمكن اخوه تكش من استعادته.

اما خوارزم شاه علاء الدين تكش ، فقد انصرف الى الاهتمام بشؤون دولته بعد ان تخلص من منافسة اخيه سلطان شاه ، فاستغل انقاسم السلاجقة على انفسهم وانشغالهم بالحروب والفتن الداخليه وعمل على توسيع رقعه بلاده.

غير ان اتساع املاك الخوارزميين واستيلائهم على ممتلكات الدولة السلجوقية قد ادى الى أثارة النزاع بينهم وبين الخلافة العباسية ، فرفض الناصر لدين الله طلب علاء الدين تكش بإعادة دار السلطنة الى ما كانت عليه زمن السلاجقة ، وابدى عدم استعداد الخلافة لا عادة النفوذ الاجنبي بعد ان تخلصت من السلاجقة .

ثم تطلع علاء الدين تكش الى الاستيلاء على مدينة بخارى ، فقصدها في عام ٥٩٤ وسيطر عليها ، وارسل اليه الخليفة الخلع له ولولده قطب الدين محمد وقلده حكم البلاد .

توفي علاء الدين تكش في رمضان من سنة ٥٩٦هـ ، فتسلم مقاليد الحكم في خوارزم ولده قطب الدين محمد وتسمى بعلاء الدين محمد ، وقد تعرضت الدولة الخوارزمية في عهده الى هجوم حكام الدولة الغورية غياث الدين واخية شهاب الدين الذين تمكنوا من الاستيلاء على عدد من مدن خراسان ، الا ان الغوريين لم يستطيعوا الاحتفاظ بها طويلا بعد وفاة غياث الدين في سنة ٥٩٩هـ .

وخاض علاء الدين بعد ذلك سلسلة من الحروب ضد الخطا الذين أستأنفوا غاراتهم ضد المسلمين في بلاد التركستان ، وقاد عدة حملات عسكرية ضد الخطا انتهت بإزالة دولتهم ، فارتكب بذلك خطأ فادحا ، اذ اصبح وجها لوجه امام المغول ، بعد ان كان الخطا يشكون سدا منيعا بينهم وبين بلاد المسلمين .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

واستمر علاء الدين في نهجه التوسعي وواصل حملاته على الاقاليم المجاورة ، واصبح الطريق امامه مفتوحا الى غزنة حاضرة الدولة الغورية ، فاستولى عليها عام ٦١٢هـ .

وهكذا بلغت الدولة الخوارزمية في عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد اقصى درجات القوة والاتساع ، فانصرف علاء الدين محمد الى العناية بشؤون دولته ،ووجد ان اتساع رقعتها يستدعي تقسيمها الى ولايات كبيرة يتولى ادارتها اولاده على ان يكونوا مسؤولين امامه مسؤولية مباشرة فاعطى ولده الاكبر جلال الدين منكبرتي القسم الشرقي من البلاد ويضم غزنة وباميان والغور وبست وتكياباذ وزمين داور وما يليها من بلاد الهند ، اما القسم الشمالي الذي يضم خوارزم وخراسان ومازندران فكان من نصيب ابنه قطب الدين ازلاغ شاه ، واقطع القسم الغربي الذي يشمل الشمال الشرقي من العراق أي أقليم الجبال الى ولده ركن الدين. غير ان الدولة الخوارزمية لم تستطع الحفاظ على املاكها امام الاخطار الخارجية ، ولم يتمكن علاء الدين محمد من مواجهة خطر المغول الذين اجتاحوا اقليم خوارزم في سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠ م ، واضطر الى اللجوء الى احدى جزر بحر قزوين حيث ادركته الوفاة هناك في السنة نفسها بعد ان عهد بالحكم لولده الاكبر جلال الدين منكبرتي .

وقد اظهر جلال الدين كفاءة ومقدرة فائقة من الدفاع عن الدولة الخوارزمية في هذه المرحلة الخطيرة فبذل جهود كبيرة في قتال المغول والتصدي لزحفهم ، الا انه لم يعد يقوى على الوقوف بوجههم وانتهى المطاف بجلال الدين الى قرية من قرى مياقارقين حيث لقي مصرعه هناك سنة ٦٢٨هـ ، فسقطت بذلك الدولة الخوارزمية .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الفصل الثاني

البيئة الجغرافية والاجتماعية لبلاد المغرب العربي

اولا المغرب قبل التحرير العربي الإسلامي

التعريف ببلاد المغرب:

المراد بلفظ المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد . وبلاد المغرب هي كل الأقاليم الواقعة غرب مصر ابتداء من الإسكندرية حتى طنجة على المحيط الأطلسي .

وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون في تحديد مدلوله : فجعله بعضهم يشمل بلاد شمال أفريقيا فضلا عن اسبانيا الاسلامية (الاندلس) وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط مثل صقلية وجنوب إيطاليا وجزيرتي سردانية وقورسيقا وجزر البلبيار او الجزر الشرقية .

ويذهب فريق آخر من المؤرخين الى أن مصر أيضا ضمن مجموعة البلاد الغربية لكونها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة الغربية في الحقبة الإسلامية الأولى .

وفي أيام العباسيين زاد مدلول المغرب اتساعا فصارت الشام أيضا ضمن المغرب إذ إن العباسيين قسموا دولتهم إلى قسمين وهما المغرب ويشمل الشام ومصر وأفريقية وما يليها غربا . والمشرق ويشمل بلاد فارس وما يليها شرقا .

ثانياً اقسام بلاد المغرب :

منذ القرن الخامس الهجري قسمت بلاد المغرب الى ثلاثة أقسام كبيرة بحسب قربها أو بعدها عن مركز الخلافة في المشرق اداريا .

وهي :

١) برقة وطرابلس ، وهما الاقليمان الاولن من ناحية الشرق لبلاد المغرب.

٢) المغرب الأدنى : ويسمى أيضا (أفريقية) يشمل المنطقة الممتدة من غرب مصر الى الأجزاء الشرقية من الجزائر. وشهد ثلاث عواصم في العصور الوسطى هي القيروان أيام حكم الأغالبة . ثم المهدية أيام العبيديين ثم تونس

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

منذ عهد الحفصيين الى اليوم ويسمى بالمغرب الادنى لانه اقرب الى دار الخلافة من المشرق.

٣) المغرب الأوسط : ويشمل المنطقة الممتدة من مدينة بجاية حتى وادي ملوية وكانت عواصمه في العصور الوسطى كلا من مدينة تاهرت في عهد الدولة الرستمية. ومدينة أشير أيام الدولة الزيرية الصنهاجية التي خلفت العبيديين في حكم المغرب .

٤) المغرب الأقصى : ويشمل المنطقة التي تلي المغرب الأوسط حتى المحيط الأطلسي وتعد امتدادا طبيعيا له ، والمغرب الأقصى يعرف اليوم باسم المملكة المغربية او المغرب ويمتد مابين وادي ملوية وتلمسان شرقاً حتى المحيط الاطلسي غرباً وسمي بالمغرب الاقصى لبعده عن مركز الخلافة في المشرق.

البيئة الجغرافية لبلاد المغرب:

يمكن تقسيم بلاد المغرب على أربعة أقسام رئيسية هي :

١. المنطقة الساحلية : وهي المنطقة المطلة على البحر المتوسط والمحيط الاطلسي وهذه المنطقة فصلها عن الداخل سلسلة جبال أطلس ،وفي هذه المناطق قامت تجمعات سكانية ساعدتها الظروف الطبيعية من أرض خصبة ومناخ معتدل على قيام زراعة ناجحة.

٢. المنطقة الجبلة : عبارة عن سلاسل جبلية موازية للبحر المتوسط والمحيط الاطلسي ،وهي حاجز طبيعي فصلت بين منطقة السهول والصحراء.

وتنقسم هذه السلاسل على ثلاثة أقسام:

١. الأطلس البحرية : وتسمى أطلس التل وهي مجموعة سلاسل تحادي الساحل ومنها جبل ارليف.

٢. الاطلس الصحراوي : وهي سلسلة تسير موازية لجبال اطلس التل وتلتقي بجبال زغوان بتونس الا أن اطلس الصحراوي يمتاز عن اطلس التل بشدة ارتفاعه ولاسيما في المغرب الاقصى.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٣. الأطلس الكبرى : وهي سلسلة جبال تمتد في جوف الصحراء من جنوبي وادي سوس حيث تحمل اسم جبال أطلس الكبرى والى جانبها سلسلة جبال درن.
٤. منطقة السهول : تقع سهول المغرب على ساحل المحيط الاطلسي وساحل العدوة والبحر المتوسط وأشهرها سهل شادية ودكالة وعيده بالمغرب الاقصى ويوجد سهل يبلغ طوله نحو ٣٠٠ كم وعرضه بين ٢٠-٨٠ كم ومتوسط ارتفاعه نحو ٢٥٠ م فوق سطح البحر.
٥. منطقة الصحراء : وهي تلي منطقة الجبال وتمتد من مصر شرقاً حتى وادي درعه في جنوب المغرب الاقصى ويطلق على هذه المنطقة منطقة الجريد لكثرة النخيل بها.

الانهار :

توجد في بلاد الغرب أنهار عديدة تنبع من جبال أطلس وتجري بأطوال مختلفة الى أن تصب في البحر المتوسط والمحيط الاطلسي ومن أهمها :

١. الانهار التي تصب في البحر المتوسط : وهي نهر المجردة في تونس ونهر الشلف في الجزائر ونهر الملوية.
٢. الانهار التي تصب في المحيط الاطلسي : وهي نهر سبو في المغرب الاقصى ونهر أم الربيع وهناك أنهار أخرى مثل نهر أبو رقراق ونهر تنفست ونهر سوس.

٥) ثالثا / البيئة الاجتماعية لبلاد المغرب قبل التحرير

يمكننا أن نقسم سكان بلاد المغرب الى الاقسام الرئيسية التالية:

١-البربر

أن كلمة (بربر) التي أطلقت على سكان المغرب فهي : كلمة دخيلة أطلقها عليهم من غلب عليهم من الأمم كالرومان والاغريق . أما السكان الاصليون فلا يسمون أنفسهم بالبربر . فلكل قبيلة اسمها الخاص بها . والظاهر أن كلمة بربر اسم صوت

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

جاء من أن البربر يتحدثون أصواتا غير مفهومة تغلب عليها (الراء والباء) حينما يتكلمون أي بمعنى انهم (يبربرون) في كلامهم فقيل لهم (ما اكثر بربرتهم).
ويقسمهم المؤرخين الى قسمين كبيرين على أساس مدى علاقتهم بالتحضير والتصحر وهما :

أ-البتر :

وهم الرحل ، سكان البادية الذين يعيشون على الرعي والتنقل واهم قبائلهم زناته ببطونها جراوه ومغراوه ومكناسه وبني يفرن وبني مرين وبني زيان وبني وطاس وهم منتشرون في جميع أنحاء المغرب وانتقل قسم منهم إبان الفتح إلى الأندلس.

ب-البرانس :

هم المستقرون الذين يعيشون على الزراعة وهم قبائل عديدة أهمها قبيلة صنهاجه ببطونها وفروعها الممتدة الى مختلف أنحاء المغرب . فهناك صنهاجه الشمال في المغرب الأدنى والأوسط. وهناك صنهاجة الجنوب التي تعيش في صحراء شنقيط(موريتانيا الحالية) ويعرف أفرادها بالمثلمين وهم رعاة متنقلون.
وجد الباحثون الفرنسيون تفسيرا آخر لهذا التقسيم أساسه نوع اللباس التي كانت تلبسه هذه الجماعات القبلية وهو البرنس اللباس القومي المعروف عند المغاربة فالبرانسة في اعتقادهم : هم الذين يلبسون البرانس بغطاء الرأس . أما البتر هم الذين يلبسون هذا الزي أبترا سمو بترا (جمع بتر).
وكانت قبائل البتر والبرانس تدين بأديان مختلفة . فالمسيحية انتشرت بين المستقرين منهم في المناطق والمدن الساحلية التي كانت خاضعة او مجاورة للسيادة البيزنطية. كذلك انتشرت الديانة اليهودية منذ القدم في داخل البلاد حيث انتشر اليهود كتجار ومرابين ،إما الديانة الوثنية فقد كانت منتشرة بين معظم تلك القبائل ولا سيما في البوادي والجبال والصحراء .

٢-الأفارقة : وهم أقلية سكانية كانت تدين بالنصرانية وعرفت بخدمتها للروم الذين أخذوا عنهم كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم . واعتنق بعضهم الإسلام

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

بعد عمليات التحرير العربي لبلاد المغرب مع احتفاظهم بلغتهم الخاصة وعاداتهم.

٢-الروم البيزنطيون : وهم الطبقة الحاكمة للشريط الساحلي والذين لم يتوغلوا للداخل نتيجة صعوبات الحياة فضلاً عن رفض القبائل لسلطة المستعمرين وبمرور الوقت أستقر معظمهم واشتغلوا بالتجارة والزراعة.

٣-السودان : وجودهم على أرض المغرب قديم لا تحدده حقبة زمنية معينة ، بل يرتبط بطبيعة علاقة المغرب الأزلية بأمم السودان.

٤-اليهود : وهم اقلية من سكان بلاد المغرب واغلبهم كانوا يمارسون التجارة واعمال الصناعة وخاصة صناعة الحلي الذهبية.

رابعا / انتشار الاسلام في بلاد المغرب العربي .

الدوافع والأهداف

إن حجم الدوافع والأهداف التي حفزت المسلمين على تحرير بلاد المغرب في مدة زمنية بلغت سبعين عاما (٢٠-٩٠هـ)كبيرة جدا ومتنوعة نذكر منها :

١. دافع الجهاد : أن دافع الجهاد في نشر راية الإسلام في تلك البلاد تأتي على رأس الدوافع التي حفزت العرب المسلمين للاندفاع من مصر باتجاه المحيط الأطلسي غربا.فالقضاء على الاحتلال البيزنطي كان يعني تيسير نشر الدعوة الاسلامية ووضع حد لجبروت البيزنطيين .

٢. أن بقاء الروم في هذا الجزء من أفريقيا كان يضايق وجود العرب في مصر وإقرار الإسلام بها . لهذا اندفع عمرو بن العاص والى مصر ، نحو برقة سنة ٢١هـ التي صالح أهلها على جزية قدرها ثلاثة عشر ألف دينار . وطرابلس التي فتحها عنوة سنة ٢٢هـ.

٣. تجسدت في رغبة العرب المسلمين في تطويق القسطنطينية من جهة الغرب بغزو ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية من الشمال الأفريقي وغرب البحر المتوسط وذلك باحتلال صقلية وجنوب إيطاليا كي يكون الإجهاز على الإمبراطورية البيزنطية آتيا من المغرب والمشرق .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٤. قرب دمشق عاصمة الأمويين من البحر المتوسط واعتناء الأمويين الشديد ببناء الأسطول العربي وسعيهم لتوفير مادته الصناعية بشكل مبكر منذ ولايتهم لبلاد الشام.

قادة تحرير بلاد المغرب وأهم المعارك

مرت عمليات تحرير المغرب بمرحلتين هما :-

١. مرحلة البعوث والسرايا والحملات الاستطلاعية .

٢. مرحلة الجيوش المنظمة .

١-مراحلة البعوث والسرايا

بدأت هذه المرحلة حين توجه عمرو بن العاص والى مصر بنظره نحو إقليم برقة لتأمين قاعدة الفسطاط وتأمين الوجود العربي في مصر وإقرار الإسلام بها حيث أرسل عقبة بن نافع الى منطقة برقة فجاءه بأخبار مشجعة عن المنطقة وسكانها. حملته الى التوجه بنفسه على رأس جيش من الفرسان لفتح برقة سنة ٢١ هـ وكانت النتيجة ان فتح برقه وصالح اهلها على الجزية والبعض منهم دخل الاسلام . كما تمكن عقبة من دخول صحراء زويلة وفرض جزية على أهلها . وبعد هذه الحملات الموفقة قاد عمرو بن العاص غزوة ثانية لمنطقة الساحل حيث فتح مدينة وطرابلس وصيراته في حين وجه بسر بن أرطاة نحو الداخل حيث تقع مدينة ودان وغيرها. عاد عمرو بن العاص الى مصر تاركا عقبة بن نافع على برقة الذي اثبت كفاءة عالية في إدارة تلك القاعدة وتقديمه الخدمات للحملات الاستطلاعية التي أخذت تتقاطر على أفريقية من مصر، ومنها حملة عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري سنة ٢٧ وسميت بحملة العبادلة او (غزوة العبادلة) لاشتراك عبد الله بن سعد وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن ابي بكر وعبد الله بن زيد بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر بن العباس وعبيد الله بن العباس .وحققت الحملة أهدافها بتحرير معظم مدن الإقليم وبذلك تحطمت اخر مقاومة حقيقية للروم ن فعرضوا الصلح لقاء جزية سنوية تقدر بحوالي ثلثمائة قنطار من الذهب وتنفيذا لشروط الصلح انسحبت قوات المسلمين الى الفسطاط أواخر سنة ٢٩هـ .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

أما الاسباب التي دعت عبد الله بن سعد للعودة الى الفسطاط (مصر) هي :

١. ان معركة سبيطلة لم تحرر سهل تونس كله وأن الارض المتبقية واسعة الاطراف مليئة بالحصون.
٢. ان جيش المسلمين قد قضى حتى هذه الواقعة خمسة عشر شهراً في أفريقية وجمع خلال هذه المدة غنائم كثيرة وقد يكون هذا سبباً يدعو للعودة الى بلادهم وأنهم خافوا أن تحدث معارك أخرى فتذهب غنائهم الى عدوهم.
٣. كان تعداد الجيش الاسلامي في بداية الامر عشرين ألف وقد نقص كثيراً بعدهذه المعارك وهذا يعني أن القوة القتالية قد ضعفت بعد هذه المدة .
٤. نظراً لطول غيبة القائد عن مقر ولايته مصر فإنه كان يميل ايضاً الى الرجوع للنظر في أمرها.
٥. قد يكون عدم الانسجام بين القائد عبد الله بن سعد وبين عبد الله بن الزبير . فضلاً عن ذلك فإن عدم ثقة عبد الله بن سعد بمن حوله وتخوفه منهم قد يفسر عودته الى مصر.

ثانيا : مرحلة الجيوش المنظمة

كان من المتوقع ان تعيين عمرو بن العاص ثانية على ولاية مصر يعطي دافعا جديدا لعملية تحرير شمال أفريقيا وتضع بداية لاستراتيجية جديدة لان عمرو بن العاص كان من أشد المتحمسين لهذا الهدف في ولايته الاولى على مصر إلا ان هذا لم يحصل ويعزى ذلك لعوامل محتملة كثيرة منها . أن عمرو بن العاص كان قد طعن في السن وضعف نشاطه العسكري . وربما كان لاندماجه في أحداث المشرق السياسة أثر في أشغاله عن هذه المهمة .

-معاوية بن حديج الكندي

في سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م قاد معاوية بن حديج جيوش التحرير في شمال أفريقية وتميزت جهوده العسكرية في الاستيلاء على قابس وبنزرت وألحق هزيمة نكراء بالجيش البيزنطي بقيادة نقفور في ميناء سوسة بسرية كان يقودها عبد الله بن الزبير في حين سيطرت سرية عبد الملك بن مروان على حصن جلولاء كما اقتحمت قوات

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

رويفع بن ثابت جزيرة جربه وأغارت قوات عبدالله بن قيس الغزاري على جزيرة صقلية فنال من سرقوسه كبرى مدن الجزيرة ورجع سالما .

وكلل جهوده العسكرية ببعض الخدمات العمرانية حيث عرف عنه انه كان أول من اتخذ قاعدة عسكرية ثابتة لقواته في إقليم قمونيه الذي أطلق عليه اسم القيروان وحفر بجواره أبار يشرب منها الجند خيولهم وسميت أبار حديج وبذلك يكون ابن حديج أول قائد عربي في أفريقية اختار قيروانا ينزل فيه الجند

عقبة بن نافع الفهري

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري القرشي لم يكن حديث عهد بأفريقية بل قضى فيها ربع قرن مجاهدا ومرابطا قبل ان يعنيه الخليفة معاوية واليا عليها سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م . فقد رافق عمرو بن العاص في عملياته لتحرير أفريقية ، لذلك كان على دراية بأحوالها ومسالكها ولا سيما في ليبيا وصحراوتها . لذلك سلك بجيوش المسلمين طريق الصحراء عبر الواحات وتجنب الطريق الساحلي الذي سلكة أغلب القادة الذين سبقوه ، والذي اصبح يعرف بالطريق الأعظم و(بالجادة) . ودانت له القبائل المغربية القاطنة في الصحراء الليبية وتمكنت جيوشه من السيطرة على مدينة غدامس وعلى قفصه ومنها توجه بقواته نحو إقليم قسطيليه وأذعنت له أهم مدنها وهي (توزر) وعندما توقف في التوغل عبر الصحراء حيث توجه الى اقليم الهضبة الوسطى حتى وصل الى معسكر القرن الذي أنشاه معاوية بن حديج من قبل ، ولم يعجبه ذلك المعسكر لذا فكر في إقامة مدينة تناسب حجم القوات العربية الإسلامية وعظمة الإسلام فاستحسن جنوده الفكرة وتحمسوا لبناء معسكرا يأويهم وقاعدة ثابتة ينطلقون منها لمزاولة نشاطهم في تحرير البلاد ومقاومة الروم البيزنطيين .لذلك أمر عقبة ببناء القيروان .

بناء القيروان

أختار عقبة لبناء مدينته مكانا وسطا بين الساحل والداخل قريبة من المرعى بحيث لا تكون قريبة من البحر فتصبح في مرمى الرومان المتفوقين بحريا ولا تبتعد كثيرا في

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

عمق الداخل فتكون عرضة لتحركات القبائل الصحراوية ذات الأهواء المتقلبة . وقد بينت مدينة القيروان في منطقة تونس .

وحقق بناء القيروان للعرب المسلمين نتائج إسلامية باهرة منها ودخل كثير من البربر في الإسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان ، وآمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها. واستقرت فيها كثير من تلك القبائل أو جاورتها بعد أن اطمأنت نفوسهم إليها وتسببت في ارتفاع معنويات المسلمين لأنهم وجدوا فيها ملاذا وقاعدة انطلاق ثانية لتوسيع نفوذهم ونشر راية الإسلام في مناطق جديدة في بلاد المغرب ، ثم غدت مدينة القيروان عاصمة زاهرة لبني الأغلب.

ومن الجدير بالذكر إن بناء مدينة القيروان الذي دام نحو خمس سنوات لم يشغل عقبة بن نافع عن عملياته العسكرية في بلاد المغرب بل استمر طيلة المدة في إرسال البعوث. لكن عقبة بن نافع عزل عن منصبه ! وربما جاء هذا العزل بسبب تأثير مسلمة بن مخلد والي مصر الذي قد ساءه انصراف عقبة عند فكاد له وسهل مهمة عزلة .

-ابو المهاجر دينار

تولى قيادة الجيش في شمال افريقية بعد عزل عقبة بن نافع سنة (٥٥ هـ / ٦٧٥م) ،وأفتتح عمله هناك بتركه مدينة القيروان واتخاذ قاعدة جديدة له تسمى (تكرور) وقد بنيت وسط القبائل المغربية المحلية ،وربما كان يقصد ابو المهاجر من ذلك ان يؤكد لتلك القبائل أن اتجاها سياسياً جديدا يقوم على اساس التقرب من السكان الاصليين وكسبهم. للإسلام باللين والحسنى وربط أواصر الحلف معهم ضد الروم الدخلاء.

كانت سياسة أبي المهاجر دينار تنصب على هدفين رئيسين أحدهما : طرد الروم والأخر إخضاع القبائل المغربية وكسبهم الى حظيرة الإسلام . حيث كان النصارى من تلك القبائل وخاصة قبيلة اوربه تحالف الروم وقد تصدت بقيادة زعيمها كسيلة بن لمز إلى قوات التحرير العربية الإسلامية . ولكن بعد معركة أسفرت عن هزيمة كسيلة ووقوعه في الأسر اعتنق كسيلة الإسلام وتبعته قبيلة اوربه وبذلك تحولت عن

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

نصرانيتها ويعد ذلك نصرا لقيادة أب المهاجر في شمال أفريقيا وكان لهذه العلاقة التي أرسى قواعدها أبو المهاجر دور إيجابي في استكمال عملية تحرير المغرب .
أما استعداداته لطرد الروم فكانت متميزة عن غيره من القادة ايضا فقد عمل على مواجهة مواقعهم المنيعة في قرطاجنه ومدينة فحص تونس ببناء معسكر قريب من المدينة ليزاول منه نشاطه ضدهم كما وجه جيش لفتح جزيرة شريك ثم عقد صلحا مع الروم لكي يحتفظ المسلمون بما استولوا عليه من مناطق حول شبه جزيرة شريك.

-قيادة عقبة بن نافع الفهري الثانية

تولى عقبة ولايته الثانية لأفريقية سنة ٦٢ هـ وأعاد تجديد ما خرب من مباني القيروان ، ثم أنطلق غربا للجهاد وتحرير البلاد والتقى بقوات الروم الهائلة وحلفائهم في مدينة (باغايه) وألحق بهم الهزيمة ثم قصد مدينة أدنه وهناك ألحق الهزيمة بأعدائه من الروم وحلفائهم وألجأهم الى الحصون وتواصلت انتصارات عقبة على الروم حتى لاذت فلولهم بحصن تاهرت.

ثم وصل عقبة الى قرب مدينة طبنه من دون أن تعترضه أية متاعب تستحق الذكر لذا أمر معظم جيشه بسرعة العودة الى القيروان لثقته بنفسه ،وبقى هو في مجموعة قليلة من الفرسان لا يتجاوز عددها ثلثمائة فارس عول عليهم في تصفية بعض قلاع الروم ومنها حصن تهوده وحصن باديس لكن الروم لما وجدوا عقبة قلة من جيشه كمنوا له بعد أن توطؤوا مع كسيله ، الذي هرب من معسكر عقبة مع ليتحالف مع الروم ضده.

وأسفر اللقاء عن هزيمة غير متوقعه لجيش المسلمين الذين قتلوا عن أخرهم بما في ذلك عقبة وأبو المهاجر دينار ،وصحابه الذين سميت مقبرتهم (مقبرة الشهداء) ،وأصبحت المنطقة كلها بأسم (سيدي عقبة) عوضاً عن تهوده.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

أسباب خسارة العرب في معركة تهودة:

١. استغرقت حملة القائد عقبة بن نافع مدة عامين قطع الجيش خلالها مسافة طويله حياً وهاتان المدة والمسافة قد أنهكتا الجيش برمته وقللت من كفاءته القتالية .
٢. عدم استصحاب عوائل المقاتلين معهم ادى الى تدني الروح المعنوية.
٣. نظراً لطول خطوط المواصلات لم يتم تعزيز الجيش بالمدد المطلوب من العدة والعدد.
٤. شعور المجاهدين بالاجهاد نتيجة طول مدة الحملة وسوء القضايا للادارية وشحة المياه في بغض الأماكن ووجود الاصابات التي تستدعي العناية الطبية كان سببا أخر من أسباب الاخفاق.
٥. حصول خسائر كبيرة في الجيش العربي الاسلامي نتيجة المعارك المتتالية والمتعاقبة أدى الى أضعافه تدريجياً.
٦. التنسيق المعادي بين الروم والبربر أدى الى صعوبات كبيرة للجيش العربي الاسلامي.
٧. استدرج عقبة بن نافع وجيشه الى منطقة القتل في منطقة تهوده دون أن يشعر بذلك.
٨. حقق الروم والبربر المباغته التعبوية في الزمان والمكان المناسبين لهم مما أفقد القائد عقبه بن نافع المرونة في مجابهة الموقف.
٩. لقد كانت الحملة خلال التنفيذ تمر من محيط كله أعداء ومن كل الجهات فكان عليه حماية أرتابه باستمرار والحصول على المعلومات في كل وقت وهذا لم يتم.

-تكليف زهير بن قيس البلوي

كان زهير مرابطاً في برقة منذ استشهاد عقبة بن ناقع عندما وصله امر تكليفه بولاية افريقية من قبل عبد الملك.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

فالتحقت بزهير اعداد كبيرة من المقاتلين ، فتقدم بهم نحو البربر وقائدهم كسيلة ، فحدث معركة في منطقة ممس او ممش ،وكثر القتال بين الفريقين ، حتى قتل كسيلة.

نتائج معركة ممش او ممس

١. تمكن القائد زهير بن البلوي من كسر شوكة البربر وقضى على مقاومتهم.
٢. تفكيك الحلف المعقود بين الروم والبربر من خلال النجاح في استبعاد الروم من المعركة.
٣. عودة القيروان الى سابق عهدها عامرة بأهلها من العرب المسلمين ومن البربر المسلمين.
٤. استثمار الفوز والمطاردة للعدو المنسحب لها ألأثر الكبير في إيقاع الخسائر الجسمية به.
٥. طبق القائد زهير بن البلوي مبدأ التحشد والأمور الادارية على أحسن وجه من خلال طلبه من الخليفة بإمداده بالمال والرجال.
٦. حسن توزيع القطعات وتخصيص الخيالة لمطاردة البربر المهاجمين.

أستشهاد القائد زهير بن البلوي:

لم يبق القائد زهير في القيروان كثيراً حيث قرر العودة الى مصر وكان قد وصل اليه اخبار عن تحركات الاسطول الرومي قرب السواحل في منطقة برقة. واشتبكت مع حاميتها ولعدم تكافؤ القوات تمكن الروم من السيطرة على المدينة.

ووافق ذلك قدوم القائد زهير بن قيس من القيروان الى برقة وأخذ طريق الساحل مع جماعة قليلة من جيشه ، وتكاثرت القوات الرومية فأستشهد زهير بن قيس ومن معه.

-القائد حسان بن النعمان الغساني

بعد استشهاد زهير بن قيس البلوي أمر عبد الملك بن مروان القائد حسان بن النعمان الغساني على ولاية افريقية وعمل على تجهيز جيش كبير يتولى تحرير البلاد .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

استغل القائد حسان مكوثه في مصر في اعداد الجيش من الناحية العددية والتدريبية والتسليحية والتجهز وإكمال الأمور الادارية المختلفة وقد بلغ تعداد الجيش أربعين ألفاً وقد تحرك القائد حسان من مصر الى افريقية سنة ٧٤هـ ، وسلك الطريق الساحلي المؤدي الى افريقية.وصل الجيش العربي الاسلامي القيروان ودخلها وأقام فيها بشكل آمن لا يهدده أحد سوى الروم .

فقام بمهاجمة القطعات الرومية خارج أسوار المدينة والتحم الجيشان في معركة عنيفة وسقطت من الروم أعداد كبيرة بين قتيل وجريح فأجبرهم على التقهقر والانسحاب داخل المدينة.

وعندما رآى حسان بن النعمان تقهقر القوات الرومية قام يتعقب العدو المنسحب وطوق المدينة المحصنة. ولما رآى الروم ما حل بهم اجتمع رأيهم على الهرب.

بعد أن أكمل حسان مرحلة التنظيم لجيشه أصبح مستعداً لجولة ثانية من المعارك وخاصة مع البربر الذين كانت تقودهم أمرأة تعرف بالكاهنة لانها كانت تخبرهم أشياء من الغيب وقد أجتمع حولها البربر بعد مقتل زعيمهم كسيلة.

وقررت الاشتباك بجيش القائد حسان في هذه المنطقة، الا أن القائد حسان لم يتوجه إليها مباشرة وفتح قطعاته بمكان آخر مما أجبرها على ترك المنطقة والتوجه للقائه ،فسار اليها القائد حسان.

ثم توجه الى منطقة نيني وتقابل الفريقان فأقتلوا قتالا شديداً ، ولما رآى حسان بن النعمان أن جيشه أصيب بخسائر جسيمة قرر الانسحاب مجبراً.ووصل الى برقة وظل فيها خمس سنوات يترقب ويتهيأ للمهمة المقبلة وأمده عبد الملك بن مروان بجيش في أواخر سنة ٨١هـ. والتقى الكاهنة بمعركة حاسمة في مكان يعرف ببئر الكاهنة وانهزم جيش البربر وقتلت الكاهنة في المعركة.

وبعد أنتهاء المعركة أتت جموع البربر الى القائد حسان بن النعمان وطلبوا الامان .

وبعدها قرر القائد حسان بن النعمان مهاجمة الروم في قرطاجنة فهاجمهم فتحصنوا بها فحاصروهم وشدد عليهم الحصار فنشبت معركة طاحنة بين الطرفين وأنتصر القائد حسان ودخل قرطاجنة.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

في سنة ٨٥ هـ عزل القائد حسان بن النعمان من قبل والي مصر عبد العزيز بن مروان على أثر خلافات بينهما. وتم تعيين والي جديد لافريقية هو موسى بن نصير.

موسى بن نصير

وصل موسى بن نصير أفريقية ودخل القيروان ، ثم بدأ بتنظيم جيشه للقتال، وبذلك أستطاع ان يجعل القيروان وساحلها آمنة وقاعدة أمينة ينطلق منها وهو مطمئن على خطوط مواصلاته وتتلخص خطته يتحرير المناطق التي لم تتحرر من قبل.

ثم قرر موسى بن نصير استعادة المغرب الاوسط ، ثم عاد موسى بن نصير الى القيروان لاعادة تنظيم جيشه وإراحة القطعات العسكرية ،وأخذ يتعسكر بالمغرب الاقصى. ويمكن أجمال انجازات القائد موسى بن نصير بالاتي:

١. انه القائد الوحيد الذي تمكن من تحرير الشمال الافريقي كله.
٢. هو الذي تمكن من الاستيلاء على طنجة وفتحها وتحويلها الى رباط عسكري.
٣. تمكن من ادخال بقية البربر من مختلف القبائل في الاسلام.
٤. أشرك مسلمي البربر مع العرب في كل المعارك اللاحقة بعد اسلامهم.
٥. أول قائد تطا قدمه أرض المصامدة بعد القائد عقبة بن نافع.

عزل موسى بن نصير

صدر الاوامر من مقر الخلافة باستدعاء موسى بن نصير فترك ابنه عبد الرحمن في القيروان خلفاً له وأنطلق صوب المشرق سنة ٩٦ هـ وبذلك تنتهي اعمال الفتح في المغرب.

-ويمكن تلخيص الاسباب الرئيسية لتأخر فتح المغرب بالنقاط الاتية:

١. الاضطراب والاختلاف الذي يسود التكوين في الشمال الافريقي في النواحي السياسية والاجتماعية والطبيعية.
٢. الاحداث والفتن التي حصلت في المشرق الاسلامي.
٣. بعد الشمال الافريقي جعل ارسال الحملات والجيوش اليه أمراً يتطلب العدة العظيمة.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٤. الخصومات بين القادة أنفسهم كان له الأثر في سير العمليات العسكرية والتأخر.
٥. النزاع بين ولاة مصر وقادة جيوش التحرير.
٦. تركيز بعض القادة على الناحية المادية وجمع أكبر وأكثر ما يمكن من الغنائم والسبى.
٧. اساءة معاملة بعض القادة الى البربر أدى الى تمردهم ورفع السلاح بوجه العرب.
٨. عدم وجود الأمصار في أفريقية عدا برقة والقيروان فيما بعد أدى الى سرعة عودة القادة الى الخلف وترك ما حرروه دون الاستفادة من هذه المدن.
٩. الوجود الرومي في الشمال الافريقي كان له الأثر في تعثر عمليات التحرير.
١٠. الطبيعة الجغرافية للمنطقة عموماً وتنوع التضاريس وكثرة السلاسل الجبلية والصحارى وقلة المياه عرقلت العمليات الحربية.
١١. الطبيعة البربرية وشدة شجاعتهم في القتال فأصبحت المقاومة سبباً آخر للتأخير .
١٢. الغارات البحرية الرومية على الجيش العربي الاسلامي لايقاف تقدمه في الشمال الافريقي أدى الى تأخير عمليات الفتح.

العوامل التي ساعدت على تحرير بلاد المغرب

من أهم العوامل التي مهدت السبيل لتحرير المغرب هي :-

١- النزاع بين قادة الاحتلال البيزنطي :-

عرفت الحقبة التي أعقبت موت الإمبراطور جستنيان لسلسة من الصراعات المحتدمة بين أركان الاحتلال من قادة المناطق العسكرية ورؤساء المقاطعات الإدارية.

٢- تفكيك القبائل المغربية سياسيا ودينيا :-

لم يعرف عن القبائل المغربية إنها سعت الى توحيد صفوفها تحت قيادة او حكومة واحدة فالعصبية القبلية وما تفرزها من منازعات كانت تنخر في صفوفها وتضعف

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

من قوتها مما جعلها سهلة في اخضاعها . كما إنها لم تلتق على ديانة واحدة فقد شتتها المعتقدات المتنافرة من مسيحية ويهودية ووثنية في مختلف أشكالها.

٣_ ثقل الاحتلال البيزنطي على المغاربة:_

إن تطلع المغاربة الى الحرية ورفض الوجود الأجنبي وما يتضمنه من استغلال اقتصادي مهلك من قبل ملاك الرومان المستحوذين على الأراضي الزراعية دفعهم الى مقاومة البيزنطيين.

٤-كفاءة العرب الفإتحين قياديا وإداريا:_

أن معظم القادة العرب المسلمين الذين تحملوا مسؤولية التحرير في شمال أفريقيا كانوا على مستوى عال من الكفاءة والخبرة.

٥- إن السياسة المرنة التي اتبعها بعض القادة مع قبائل المغرب المحلية قد استمالت نحوهم رؤساء تلك قبائل وأفرادها وأدخلتهم سريعا الى الدين الاسلامي ولاسيما وقد أشركوهم في الجيوش الفاتحة المقاتلة للروم والمرتدين وحملوهم مسؤوليات إدارية وقيادة محلية.

أهم عوامل ظهور الامارات والدول المستقلة في المغرب الاسلامي:

١. البعد الجغرافي الاسلامي في شمال أفريقيا عن مقر الخلافة ، مما شجع على استقلال الثوار والمتمردين.
٢. نزعة الاستقلال التي تمثلت بالثورات في المغرب هي السبب الاساسي في ظهور الامارات والدول المستقلة.
٣. كثرة وتعدد وتنوع الولاة في المغرب الاسلامي وقصر فترة ولايتهم.
٤. ضعف الدولة الاموية في أواخر عهدها ثم سقوطها سنة ١٣٢ هـ ثم ظهور الدولة العباسية ووصول خلفاء حسب مبدأ الوراثة في العصر العباسي الثاني غير قادرين على ادارة الدولة العربية اسلامية المترامية الاطراف.
٥. نظرا لاتساع الدولة العربية الاسلامية من حدود الصين شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ومنح الاستقلال الذاتي للاغالبة بضمانات مالية لتكون سداً أمام بقية الامارات المستقلة مثل الرستمية والمدارية.
٦. الطبيعة الجغرافية للمغرب الاسلامي من كثرة الجبال الوعرة شجع الثوار على التمرد والالتجاء إليها.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الامارة أو الدولة	الحقبة الزمنية	الاقليم (البلد)	العاصمة
الدولة الرستمية	١٤٤-٢٩٦هـ	المغرب الاوسط (الجزائر)	تاهرت
الادارسة	١٧٢-٣٧٥هـ	المغرب الاقصى (المغرب)	فاس
الاغالبة	١٨٤-٢٩٦هـ	المغرب الأدنى (تونس)	القيروان
الفاطميون	٢٩٦-٣٦٢هـ	المغرب الادنى (تونس)	المهدية
المرابطون	٤٤٨-٥٤١هـ	المغرب الاقصى (المغرب	مراكش
الموحدون	٥٤١-٦٦٨هـ	المغرب الاقصى (المغرب)	مراكش
الحفصيون	٦٢٥-٩٨٢هـ	المغرب الادنى (تونس)	المهدية تونس

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الدويلات والامارات الاسلامية في المغرب العربي

١- الدولة المدرارية: أو دولة بني واسول (١٤٠_٣٤٩هـ)

هي دولة قامت في اقليم المغرب الاقصى ، وعاصمتها مدينة سجلماسة.

ومؤسس الدولة المدرارية كان سودانيا يدعى عيسى بن يزيد المكناسي الذي بنى العاصمة سجلماسة ، وأمر بغرس النخيل فيها ولكن يبدو أن عيسى بن يزيد اخذ يستأثر بالأموال في أواخر ايامه مما أثار معارضة مواطنيه . فيروي البكري ان زعيم المعارضة واسمه ابو الخطاب الصفري ، قال لأصحابة في مجلس عيسى بن يزيد:((السودان كلهم سراق حتى هذا! وأشار الى عيسى، فأخذوه وشدوه وثاقا الى جذع شجرة في الجبل بعد أن طلوه بالعسل، وتركوه حتى قتله البعوض والنحل والنمل. وولى بعده قاتله ابو الخطاب الصفري الذي تقرب إليه حداد من ربض قرطبة اسمه ابو القاسم بن واسول كان قد صنع سلاحا جديدا اعجب أبا الخطاب به فقربه اليه حتى صار هو المدبر لشئون الدولة. فلما توفي ابو الخطاب ولى مكانه ابو القاسم بن واسول الذي تلقب بالمدرار. ويعتبر ابو القاسم هو المؤسس الحقيقي لهذه الدولة بدليل أنها سميت باسمه فعرفت بالدولة المدرارية أو دولة بين واسول . وقد استمر حكمها في يد أبنائه من بعده الى ان قضى عليها قائد الفاطيين جوهر الصقلي سنة ٣٤٩هـ.

بناء سجلماسة

موضع سجلماسة يقع في شمال وادي درعة على طرف الصحراء جنوبا وكان يسكن تلك المفازة قبائل الملثمين الصنهاجية ومنطقة سجلماسة تعرف باسم تافللت اما المدينة القديمة(الريساني حاليا) فلم يبق لها الا الذكر والمعروف ان مدينة سجلماسة لم تكن قديمة بل محدثة مثلها مثل تاهرت اما عن يأتي المدنية فهو رجل سوداني الاصل اسمه عيسى بن يزيد الاسود الذي تم اختياره لرمامة سنة ١٤٠هـ.

أن اختيار رجل من السودان للإمامة هنا يبين تطبيق مبدأ الاعنصرية و اللاعصبية للإمام وذلك حتى يمكن التخلص من الإمام اذا ما حاد عن العدل وهذا ما ستفعله جماعة سجلماسة بأمامها عيسى بن يزيد.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

ان سجلماسة لم تكن بأكثر من قرية صحراوية وظلت المدينة بعد التخلص من عيسى بن يزيد على شكلها هذا على ايام ابي القاسم سمغون بن واسول (١٥٥-١٦٨هـ/٧٧٢-٧٨٤م) ثم ابنه الياس بن ابي القاسم(١٦٨-١٧٤هـ/٧٨٤-٩٠-٧٩١م).

وعلى ايام الرابع من أمراء سجلماسة وهو اليسع بن ابي القاسم الذي طالت إمارته الى ما يزيد على ثلث قرن(١٧٤-٢٠٨هـ٧٩٠-٨٢٣م) اتخذت سجلماسة شكل العاصمة فلقد عرف اليسع بن سمغون بنشاطه وجده في سبيل تقوية الإمارة الصفرية وتوسيع رقعتها حتى وصف بأنه كان جبارا عنيدا أخضع قبائل البربر المحيطة بسجلماسة ممن لم تكن قد خضعت لهم وادخلها في طاعته وانتشر سلطان اليسع حتى وادي درعة وبفضل ما كان يأتيه من الأموال وخاصة ماكان مفروضا على مناجم درعة(خمس معادن درعة) إزداد العمران في سجلماسة فأتخذت المدينة شكل العاصمة اذ جعلها اليسع مقرا له وبني فيها القصور والدور وخزنات المياه (المصانع) وبذلك أتم بنائها وتشييدها.

وكان من الطبيعي ان يحيطها- بعد ذلك- بسور قوي حتى يأمن فيها من عدو يطرقه ولقد بنى السور بالحجارة من أسفله وبالطوب من أعلاه كان لمدينة سجلماسة (اثنى عشر) بابا بعد ان عظمت المدينة في عهد المرابطين الذين وجهوا جهودهم نحو بلاد السودان التي كانت سجلماسة بابها .

اما عن تاريخ بناء السور فيحدد بالسنة ال ٣٤(الرابعة والثلاثون) من ولاية اليسع اي في السنة الاخيرة من حكمه وهي سنة ٢٠٨هـ. وهذا يعني احد شيئين :اما ان السور قد تم بناؤه خلال سنة واحدة (سنة ٢٠٨هـ) واما ان يكون اليسع قد بدأ البناء وأكمله بعده ابنه مدرار (سنة ٢٠٨-٢٥٣هـ/٨٢٣-٨٦٧م) الذي اتخذ لقبه المنتصر.

اي قبيل الوقت الذي بدأ اليسع ينشئ فيه السور (سنة ٢٠٨هـ) وقعت في قرطبة الفتنة المشهورة بوقعة الريض والتي انتهت بأن خرب الحكم ابن هشام ذلك الريض وطرد اهله من الاندلس فسار كثير منهم الى المغرب والمعروف ان أولئك الربضيين

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الذين ساروا الى المغرب وصلوا في الوقت كانت تنشأ فيه مدينة فاس وانهم اشتركوا في اعمارها واتخذوا لهم حيا فيها سمي باسمهم فهو (عدوة الاندلسيين)

وان اليسع بن ابي القاسم سمغون رحب بهم واستعان بهم في بناء السور سنة ٢٠٨هـ ولكنه مات في نفس السنة قبل ان يتم السور فأكملوه على عهد ابنه مدرار المنتصر وعن هذا الطريق يمكن تفسير التصاق اسم مدرار بالربضيين.

ان حركة العمران الكبيرة التي عرفتها سجلماسة ايام اليسع من بناء القصور والدور والمصانع والتي جعلت المدينة بحق عاصمة الجنوب تمت بمشاركة الاندليسيين من اهل قرطبة.

٢-الامارة الرسمية (١٤٤-٢٩٦هـ)

هي امارة قامت في أقليم المغرب الاوسط ، أسسها عبد الرحمن بن رستم وتلقب حكامها بلقب الامام، تقول بعض الروايات أن ابن رستم بنى مدينة تاهرت عقب فراره امام القوات العباسية.

والظاهر ان المقصود بتاهرت هنا ليست المدينة بل ارض تاهرت اي إقليمها حيث يحدد اختطاط تاهرت الرستمية في سنة ١٦١هـ اي بعد اكثر من خمس عشرة سنة من فرار عبدالرحمن من القيروان وذلك امر مقبول. وهذا لا يعني ان تاهرت لم تكن موجودة قبل ذلك التاريخ فالمدينة قديمة ترجع الى العصر الروماني ثم البيزنطي.

اما عن السبب في اختيار منطقة تاهرت مركزا للدعوة فيرجع اولا الى انها منطقة داخلية منطوية على نفسها بمعنى انها توجه انظارها نحو الداخل وتدير ظهرها للبحر وهذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتاز بالنسبة لجماعة يحيط بها الاعداء من كل جانب وترجو ان تعيش في امان.

بعد ان بويع عبدالرحمن بن رستم بالإمامة في سنة ١٦٠هـ كان من الطبيعي ان يتخذ مقرا له يكون مركزا للدولة الناشئة ووقع الاختيار على منطقة تاهرت للأسباب التي بينها: من ((استراتيجية)) المكان الجبلي وتوفر العصبية البترية وغنى الموقع بالماء والمراعي هذا ولا بأس من ان يكون ابن رستم قد ارتاد المكان من قبل وانه استحسنه بعد ان أقام فيه عقب فراره من القيروان، وهكذا نجح عبد الرحمن بن رستم

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

في تثبيت اقدامه في الامامة الى ان توفى سنة ١٦٨هـ ، فأنتقل الامر الى ابنه عبد الوهاب من بعده.

أسماء أمراء الدارسه

١. إدريس (الاول) بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (١٧٢-١٧٧هـ/٧٨٨-٧٩٣م).
٢. إدريس (الثاني) بن إدريس الاول (١٧٧-٢١٣هـ/٧٩٣-٨٣٨م).
٣. محمد بن إدريس الثاني(٢١٣-٢٢١هـ/٨٢٨-٨٣٦م) حم (فاس) حاضرة الامارة.
٤. عمر بن إدريس الثاني (٢١٣هـ - ؟ ، ٨٢٨- ؟) حكم بلاد صنهاجه (عماره).
٥. حمزة بن إدريس الثاني (٢١٣هـ- ؟ / ٨٢٨- ؟) حكم وليلي وأعمالها.
٦. يحيى بن إدريس الثاني (٢١٣هـ - ؟ / ٢٨٢- ؟) حكم أصيلا والعرائش (بلاد زواغة).
٧. عبد الله بن إدريس الثاني (٢١٣هـ - ؟ /٨٢٨م -؟) حكم اغمات وبلد تغمس وجبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس الأقصى.
٨. القاسم بن إدريس الثاني (٢١٣هـ ؟ / ٨٢٨م -؟) حكم سبته وطنجة وقلعة حجر النسر وهسكوره وتبطاون.
٩. عيسى بن إدريس الثاني (٢١٣هـ-؟ /٨٢٨م -؟) حكم مكانسه وتادلا وبلاد فازاز.
١٠. داود بن إدريس الثاني (٢١٣هـ-؟/٨٢٨م-؟) حكم بلاد هواره وتسول وفازي وقبائل مكناسه وغياثه.
١١. علي الاول بن محمد الملقب (حيدره) (٢٢١-٢٣٤هـ/٨٣٦-٨٤٩م).
١٢. يحيى (الثاني) بن يحيى الاول (؟ - ؟ / ؟-؟).
١٣. علي (الثاني) بن عمر بن إدريس الثاني (؟ -؟ /؟-؟).
١٤. يحيى الثالث بن القاسم بن إدريس الثاني الملقب (العدام؟) (؟ -؟ /؟-؟).
١٥. يحيى (الرابع) بن إدريس بن عمر (٢٩٢-٣١٠هـ/٩٠٤-٩٢٢م).
١٦. الحسن الحجام بن محمد (٣١٠-٣١٣هـ/٩٢٢-٩٢٥م).
١٧. كنون بن محمد بن القاسم (؟ -؟ /؟-؟).
١٨. أبو العيش أحمد (٣٣٧-٣٤٣هـ/٩٤٨-٩٥٤).
١٩. الحسن بن كنون (٣٣٤-٣٦٤هـ/٣٥٤-٩٧٤).

ملاحظة : كان أولاد إدريس الثاني الصغار (إدريس وأحمد وجعفر وعبيد الله) بكفالة جدتهم كنزة فلم يحكموا.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٣- الادارسة ١٧٢-٣٧٥هـ/٧٧٨-٩٨٥م

نشوء الامارة

ينتسب الادارسة الى إدريس بن عبدالله بن الحسن بن ابي طالب(عليه السلام) الذي فر من وقعة فخ بالقرب من مكة سنة ١٦٩هـ بصحبة مولاه راشد باتجاه بلاد المغرب التي وصلها بمساعدة من واضح صاحب بريد مصر حيث استقر به المقام في مدينة وليلي سنة ١٧٢هـ عند اسحاق بن محمد بن رئيس قبيلة أوربة البرانسية. وفي سنة ١٧٣هـ انتهى الى تلمسان حيث بايعه اميرها محمد بن حزر وأسس بها مسجدا لكن يد هارون الرشيد بعد ان فشل قائده روح بن حاتم في غزوه لمناطق النفوذ الادريسي نالت من إدريس الأول بواسطة سليمان بن جرير الشماخ الذي استطاع التسلل الى حاشيته ودس السم اليه في غياب راشد عنه سنة ١٧٧هـ ونال بذلك مكافأة الرشيد له بأن عينه عاملا على بريد مصر.

أبرز أمراء الادارسة

ترك أدريس الاول خلفه جنينا في بطن زوجته كنزه الذي اسمته بعد ولادته باسم ابيه (ادريس بن ادريس) وتربى تحت رعاية راشد حتى بويع سنه ١٨٨هـ- هي السنة التي اغتيل فيها راشد بدسيسة من ابراهيم بن الاغلب لذا تميز عهده بالخصائص الاتية:-

١- انه اتخذ العرب الوافدين عليه بطانه له فعين عمير بن مصعب الازدي الملقب بالملجوم وزيرا له وعبدالله بن مالك المخزومي كاتبا وعامر القيسي قاضيا.

٢- صالح الامير ابراهيم بن الاغلب... وطلب منه ملتمسا أن يتركه وشأنه فاستجاب ابن الاغلب لطلبه بعد ان أدرك ان الادراسة قد اسهموا اسهاما فاعلا في خدمة العالم الاسلامي من حيث انهم ثبتوا افراد القبائل المغربية المحلية على الاسلام.

٣- ظلت قبيلة اوربة مخلصة ووفية للادارسة على الرغم من ميل زعيمها اسحاق بن محمد الاوربي الى الاغالبة وتامره معهم ضد ادريس.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٤- بناء مدينة فاس: بعد ان ضاقت مدينة وليلي بالسكان ولاسيما بالوافدين عزم ادريس بن ادريس على الانتقال الى مدينة جديدة وفي سنة ١٩٢هـ شرع ببناء مدينة فاس التي اشتقت اسمها من مصادر مختلفة منها انه قيل ان ادريس الثاني ابتدا بحفر الاساس بفأس ذهبية فسميت المدينة فأسا وقيل وجد في الحفير فأسا اثريا كبيرا من الذهب كما قيل ايضا ان مدينة قديمة كانت تقوم في هذا الموضوع اندثرت قبل مئات السنين كان اسمها (ساف) فسميت المدينة على هذا الاسم مقلوبا ولما اتم ببنائها امر الناس بالانتقال اليها وغرس الزروع والاشجار ثم اقام سورها وانزل الوافدين عليه من الاندلس بالعدوة الشرقية التي سميت (بعدوة الاندلس) وانزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية وسميت (بعدوة القرويين) وقد اصبح لهاتين العدوتيين شأن كبير في تاريخ المدينة السياسي والاجتماعي والثقافي.

هذا يعني ان بناء مدينة فاس بدا في عهد ادريس الاول سنة ١٧٢هـ في الموضع الذي تقوم عليه عدوة الاندلسيين وان ابنه ادريس الثاني أسس عدوة القرويين سنه ١٩٢هـ في غرب مدينة ابيه وعلى الضفة اليسرى من وادي فاس في الموضع المعروف بدار القيطون .

كان لبناء فاس دور كبير في دعم امارة الأدارسة وارسائها من الناحيتين السياسية والعسكرية فقد اتخذوها منطلقا لجيوشهم التي اعدوها لمحاربة البربر الوثنيين في منطقة نفيس وبلاد المصامدة يمكن القول ان إدريس الثاني هو المؤسس الحقيقي لإمارة الأدارسة وعهده يمثل حقبة الازدهار والعظمة لهذه الامارة . توفي سنة ٢١٣ مخلفا بعده اثني عشر ولدا ذكرا وقد عهد بأمر البلاد الى ابنه الاكبر محمد الذي قسم بدوره إدارة الإمارة بين اخوته بإشارة من جدته كنزة واختص هو بحاضرته مدينة فاس التي اصبحت مركزاً سياسيا احتل شهرة مرموقة في جميع انحاء العالم الاسلامي . لكن الامارة لم تهنأ بالاستقرار وبالعظمة التي بلغتها في عهد ادريس الثاني سوى مدة قصيرة جدا لم تزد على ربع قرن شملت على وجه التحديد مدة محمد بن ادريس (ت ٢٢١ هـ) وابنه يحيى بن محمد بن ادريس الذي شهدت فاس في عهده ازدهارا واضحا في العمران. غير ان اعلى بني ادريس ملكا واعظمهم سلطانا

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

هو يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس ٢٩٢ هـ الذي كان فقيها عالما بالحديث . ومعروف ان في عهد يحيى بدأت إمارة الادارسة تتعرض الى خطر العبيديين ففي سنة ٣٠٥ هـ انهزم جيش الادارسة امام جيش العبيديين فاضطر يحيى ابن ادريس بن عمر الى طلب الصلح على مال يؤديه للعبيديين ومبايعتهم . فجرد من اعماله واملاكه وتركت له فاس ليكون اميرا عليها . ولكن هذا الصلح لم يستمر طويلاً . وقد تم إجلاء بعض الادارسة عن مدينة فاس ونفيهم الى مدينة حجر النسر (الحجر) والاستيلاء على عدوة الاندلسيين سنة ٣٧٥ هـ وفي حجر النسر تعرض الادارسة الى ضغوط الدولة الاموية بالأندلس نهاية وفي سنة ٣٧٥هـ كانت نهاية الامارة الادريسية في بلاد المغرب .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

أسماء أمراء الأغالبة وسني حكمهم:

١. إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميم (١٨٤-١٩٦هـ/ ٨٠٠-٨١١م).
٢. أبو العباس عبد الله بن إبراهيم (١٩٦-٢٠١هـ/٨١١-٨١٦م).
٣. زيادة الله بن إبراهيم (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٦-٨٣٧م).
٤. أبو عقال الأغب بن ابهرامي (٢٢٣-٢٢٦هـ/٨٣٧-٨٤٠م).
٥. أبو العباس محمد الأول بن أبو عقتل (٢٢٦-٢٤٢هـ/٨٤٠-٨٥٦م).
٦. أبو ابراهيم أحمد بن محمد (٢٤٢-٢٤٩هـ/٨٥٦-٨٦٣م).
٧. أبو محمد زيادة الله الثاني بن أحمد (٢٤٩-٢٥٠هـ/ ٨٦٣-٨٦٤م).
٨. أبو الغرانيق محمد الثاني بن زيادة الله (٢٥٠-٢٦١هـ/٨٦٤-٨٧٥م).
٩. إبراهمي الثاني بن محمد (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٥-٩٠٢م).
١٠. أبو العباس عبد الله الثاني بن إبراهيم (٢٨٩-٢٩٠هـ/٩٠٢=٩٠٣م).
١١. أبو مضر زيادة الله الثالث بن عبد الله (٢٩٠-٢٩٦هـ٩٠٣-٩٠٩م).

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٤-إمارة الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٨م)

ينتسب الأغالبة الى الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي . ومؤسس هذه الامارة هو ابراهيم بن الاغلب الذي اختلفت الروايات التاريخية حول الطريقة التي توصل من خلالها الى السلطة وتأسيس إمارة وراثية نالت شرعيتها من اعتراف الخلافة العباسية بها . حيث اقدم الرشيد على توليته على القيروان سنة ١٨٤ هـ فضلاً عن ولاية الزاب التي نالها من هرثمة بن أعين سنة ١٧٩ هـ وبذلك أصبح ابن الاغلب واليا على افريقية كلها بإرادة العباسيين ورغبتهم في الحفاظ بطريقة ما على وجودهم الاسمي في بلاد المغرب. ويظهر ان من شروط الخلافة في منح الاستغلال الذاتي لإمارة الاغالبة هو تحقيق هدفين اساسيين هما :

١-الضمانات المالية واستمرار تدفق الإيرادات على بيت المال .

٢- منع الادارسة من سياسة التوسع او الحد منها في الاقل.

واتخذ ابن الاغلب من القيروان عاصمة لولايته على ان يقوم بتنفيذ التزاماته تجاه الخلافة ثم اعقبها بخطوة اخرى كي يدلل من خلالها على إخلاصه وولائه للعباسيين ببناء مدينة القصر الابيض جنوب القيروان التي شرع ببنائها سنة ١٨٤ هـ او ١٨٥ هـ وسماها (المدينة العباسية). وقد اتخذ من عاصمته مقرا حصينا له ولحاشيته.

كما عبر ابن الاغلب عن اخلاصه وولائه للعباسيين بمناهضته للرستميين والمداراريين.

ابرز امراء الاغالبة :

فضلاً عن ابراهيم بن الاغلب وجهوده السالفة الذكر في ارساء امارته فقد لمع ذكر امراء اخرين نخص منهم : -

- ابو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب (١٩٦ - ٢٠١ هـ) الذي اتسم عهده بالهدوء والاستقرار في إمارة متكاملة الاجزاء لكنه وصف بكونه شديدا مع رعيته . جماعا للمال من الناس بالعسف والجور .

- زيادة الله الاول بن ابراهيم بن الاغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) . تذكره المصادر بكونه من افضل امراء الاغالبة مقدرة وكفاءة في مجال السياسة والحرب وحب العلم

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وتقدير العلماء ، فأبتنى القصور ومراكز الثقافة في القيروان والعباسية وتونس وسوسة.

– وحكم إمارة الاغالبة بعد وفاة زيادة الله الاول سنة ٢٢٣هـ عدد من الامراء تميزت عهودهم بالاستقرار والهدوء. ومن دلائل القوة والنفوذ الذي تمتع به هؤلاء الامراء الذين حكموا الامارة بعد عبد الله الاول مواصلة هيمنتهم البحرية على صقلية وجزر البحر المتوسط الاخرى ، وبناؤهم المدن مواصلة للعمران ومنها بناؤهم مدينة العباسية سنة ٢٢٧ هـ وقيام الامير ابراهيم بن احمد (٢٦١ – ٢٨٩ هـ) بإنشاء مدينة رقادة سنة ٢٦٣ هـ وبنى فيها جامع الفتح سنة ٢٦٤ هـ وقصور عجيبة ، وعمرت بالأسواق والحمامات والفنادق وغدت دار ملك الأغلب بعد ان انتقلوا اليها من العباسية . واصبحت هذه المدينة بمرور الزمن مركزا مهما من مراكز التجارة والعلم والحضارة . ومن الجدير بالذكر ان مدينة القيروان التي اتخذها الاغالبة قاعدة لهم في بداية حكمهم لم تبق محتفظة بدورها كمركز سياسي واقتصادي وحضاري فحسب بل انها وصلت الى اوج تطورها العمراني والاجتماعي والثقافي والاقتصادي وحتى السياسي في هذه الحقبة .

قضاء الأمراء على الفتن والحركات الداخلية :

ان التحالف بين العباسيين والاغالبة كان له ردود فعل عنيفة في مواجهة بعض العناصر التي لم يرق لها ان ترى أثرا للعباسيين وسياستهم في بلاد المغرب وتجسدت تلك المواقف المناوئة في سلسلة من الحركات المناهضة لتلك السياسة ومنها:

١– حركة خريش بن عبدالرحمن الكندي في تونس سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م. ودعا خريش الى أبطال شعار العباسيين الأسود وأيدته جموع كبيرة من العرب والبربر لكن ابن الاغلب قضى على هذه الحركة في مهدها.

٢– حركة اهل مدينة طرابلس سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٥م الذين ثاروا على سفيان بن المضاء والى الاغالبة هناك فأعلنوا خلعه عن الولاية وتغلبوا على المدينة حتى وصلتهم قوات ابن الاغلب فأعادوا فرض سيطرتهم على المدينة وأحضروا زعماء

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الحركة مع الوالي المخلوع أمام ابن الاغلب في القيروان فأطلع على مطالبهم وأصلح احوالهم وعفا عنهم بعد ان تقدموا بطلب العفو منه على ما اقترفوه وسمح لهم بالعودة الى مدينتهم.

٣- حركة عمران بن مجالد: تزعم حركة قام بها الجند سنه ١٩٤هـ/ ٨١٠م واشترك فيه اثنان من كبار رجال الدولة وهما عامر بن المعمر بن سنان التميمي والي مدينة قسطيلية وعمرو بن معاوية القيسي والي مدينة القصرين في افريقية ويختلف المؤرخون في سرد اسباب هذه الحركة فيعزوها البعض الى تأخر ارزاق الجند في الثغور ومما يؤيد صحة هذا الاحتمال ان الحركة قد اخمدت حالما وزرع ابراهيم بن الاغلب الاموال التي وصلته من مصر على الجند الذين انسخلوا عن القائد بن مجالد الذي فر بدوره الى بلاد الزاب تحت جنح الظلام.

٤- حركة زياد بن سهل المعروف بإبن الصقلبية في مدينة باجه سنة ٢٠٧ هـ التي تمكن زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب من قمعها وقتل القائمين بها .

٥- حركة منصور بن نصير الطنبذي الذي ثار في مدينة طنبذة سنة ٠٩ هـ وهي أعنف الثورات التي واجهها الاغالبة ومن أشدها خطراً عليهم خرجت افريقية برمتها على زيادة الله ابن ابراهيم بن الاغلب فلم يبق في يده سوى الساحل وقابس لكن الامير زيادة الله استطاع بعد خمس سنوات من القتال الضاري ان يوقع الهزيمة بالثوار وقتل قادتهم بمساعدة من قبيلة نفرادة.

نهاية الاغالبة :

دب الصراع بين امراء الاغالبة المتأخرين للفترة (٢٢١-٢٩٠هـ) ولاسيما بين الامير ابي العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم (٢٢٦-٢٤٢هـ) واخيه جعفر بن الاغلب وبين الامير ابي العباس عبد الله بن ابراهيم وابنه زيادة الله الثالث الذي انتهى بمقتل الاب وتولى زيادة الله بن ابراهيم الامارة (٢٩٠-٢٩٦هـ) وهي السنة التي وضع فيها الفاطميون نهاية لحكم الاغالبة.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

١. يحيى بن أبراهيم الجدالي (٤٢٧-٤٤٤٠هـ/١٠٣٥-١٠٤٨م).
٢. يحيى بن عمر بن وركوت اللمثوني (٤٤٠-٤٤٧هـ/١٠٤٨-١٠٥٦م).
٣. أبو بكر بن عمر بن وركوت اللمثوني (٤٤٨-٤٥٣هـ/ ١٠٥٦-١٠٦١م) عاش مجاهداً في الصحراء حتى عام ٤٨٠هـ ويمثل عهده بدء المرحلة الاولى من الامارة المرابطية.
٤. يوسف بن تاشفين بن ابراهيم (٤٥٣-٥٠٠هـ/١٠٦١-١١٠٦م).
٥. علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٣م).
٦. تاشفين بن علي بن يوسف (٥٣٧-٥٤١هـ/١١٤٣-١١٤٦م).
٧. ابراهيم بن تاشفين بن علي (٥٤١-٥٤١هـ/١١٤٦م) تولاها أشهرا من هذه السنة.
٨. اسحق بن علي بن يوسف (٥٤١هـ) الى نهاية أمارة المرابطين وقيام دولة الموحدين.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٥- المرابطون في المغرب ٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م

نشوء الامارة

ان المرابطين من قبائل صنهاجة التي كانت تقطن الصحراء الغربية(صحراء شنقيط) او ما يسمى اليوم بموريتانيا.

لقد انتشر الاسلام بين هذه القبائل عن طريق السرايا العسكرية التي ارسلها حكام المغرب الاوائل الى هذه المنطقة. وعن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يمرون عبر هذه البلاد في طريقهم الى السودان ولكن على الرغم من ذلك ظلت هذه القبائل ضعيفة الاسلام متفرقة الكلمة حتى اوائل القرن الخامس الهجري ويرجع الفضل في تحقيق الوحدة السياسية والدينية الى زعيم سياسي هو الامير يحيى بن ابراهيم الجدالي زعيم الملثمين والى زعيم ديني هو الفقيه عبدالله بن ياسين الجزولي وكلا الرجلين كانا من اصل صنهاجي.

وقد تم الاتصال بين هذين الزعيمين لقد استطاع هذا الفقيه بفضل ذكاه واخلاصه وحزمه ان يخلق من قبائل صنهامه دينية.

ويبدو ان عبدالله بن ياسين اراد ان يتوج اتباعه بتسمية تتفق مع تلك الاهداف فسماهم (المرابطون).

وبعد وفاة الزعيم الجدالي يحيى بن ابراهيم ارادت قبيلة جدالة ان تعرض على قبائل صنهاجة اميرا اخرا من جداله خلفا له الا ان الفقيه عبدالله بن ياسين رفض أن يخضع لمثل هذه النزعة القبلية الضيقة رأى بثاقب بصره ان المستقبل لقبيلة لمتونه بحكم موقعها الجغرافي المتحكم في الطريق الشمالي المؤدي الى المغرب وبحكم شجاعتها وشدة مراسها في القتال ومع ما سطر المؤرخون المعاصرون من اسباب سياسية واقتصادية لخروج المرابطين من الصحراء فانه يبقى العامل الديني هو السبب الاساسي في خروجهم من الصحراء نحو المغرب شمالا ونحو السودان جنوبا لانهم كانوا اصحاب الرسالة دينية يريدون تحقيقها بنشر الاسلام وتوحيد المغرب ولاسيما وان ظروف المغرب المضطربة يومذاك كانت توجب عليهم الجهاد الديني في البلاد المغربية الى الصحراء توجه الامير ابو بكر الى الصحراء بغية فض النزاع

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الذي نشب بين لمتونه وجداله ومسوفه واستخلف بالشمال ابن عمه يوسف بن تأشفين حوالي سنة ٤٥٢ هـ واستطاع ابو بكر ان يتوغل في فتح السودان بعد ان سوى النزاع بين لمتونه وخصومها .. ثم رجع الى الشمال سنة ٤٥٣ هـ . فأدرك أن الامور قد استقرت ليوسف فلم يطمع في ملك نفسه وتنازل عن ولاية المغرب ثم رجع الى الصحراء بصحبة الجيش الذي كان يؤلفه الملثمون . وعاش ابو بكر يجاهد في بلاد السودان ويعمل فيها على نشر الاسلام حتى توفي هناك سنة ٤٨٠ هـ .

أصبح يوسف بن تاشفين اميراً على المغرب بصفة رسمية سنة٤٥٣هـ تم له فتح جميع البلاد من الريف الى طنجة سنة ٤٦٥ هـ . ثم هدم ابن تاشفين الاسوار الفاصلة بين عدوتي القرويين والاندلسيين فيها . وتابع فتوحه في اقصى الشمال ووجه همه بالذات الى طنجة وفتحها سنة ٤٧٠ هـ. وفي سنة ٤٧٧ هـ فتح المرابطون مدينة سبته على يد المعز بن يوسف بن تاشفين.

اما جهاد المرابطين في منطقة السودان فقد ظل مستمرا بعد وفاة ابي بكر عمر اللمتوني سنة ٤٨٠ هـ حيث اعتنق الامراء الغانيون الاسلام ودخلوا تحت سيادة المرابطين واخذوا على عاتقهم القيام بالعمليات الجهادية ونشر الاسلام بين القبائل المغربية في تلك المناطق نيابة عن المرابطين . وبذلك امتد نفوذ المرابطين الى بلاد غانة وسيطروا على مناجم الذهب ومكامن الملح في الصحراء الكبرى ، كما حرروا تجارتهم من الضرائب التي كانت تفرض عليهم واحتفظوا بالضرائب الشرعية كالزكاة والاعشار واخماس الغنائم والجزية تمشيا مع تعاليم الاسلام .

أما أبرز الامراء الذين خلفوا يوسف بن تاشفين هم أبنه علي بن يوسف وتاشفين بن علي وابراهيم بن تاشفين واسحق بن علي بن تاشفين وكان على عهده نهاية حكم المرابطين وقيام دولة الموحدين.

بناء مدينة مراكش : من ابرز اعمال يوسف بن تاشفين العمرانية بنائه لمدينة مراكش حيث اختطها سنة ٤٥٤ هـ قريبة من المناطق الصحراوية التي هي موطن المرابطين الاول وكان موضعها على طريق القوافل التجارية المقبلة من الصحراء والذاهبة اليها . وانتهى من بنائها سنة ٤٥٩ هـ . وأسس مسجدها الجامع وقصبة

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

صغيرة لخزن أمواله وسلاحه وكان نفسه يعمل في الطين والبناء مع الخدم لتشييد المسجد غير انه لم يؤسس سورها بل سورها بعده ابنه علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥١٥ هـ ، وجلب اليها يوسف بن تاشفين المياه بحفر الابار ثم بنيت الدور والمنشأت العمرانية الاخرى كالمدارس وغيرها . ويعد المرابطون اول من أسسوا المدارس في المغرب . وبنوا القناطر .

والظاهر ان مراكش ظلت تحافظ على سمعتها العامة كقاعدة عسكرية لقوات المرابطين حتى دخلتها قوات جيوش الموحدين فأقاموا فيها الدور. وارتفعت مراكش ايام الموحدين فأقيمت فيها المنشأت العظمية ومنها البيمارستان الذي وصف بأنه اعظم ما أقيم في العالم الاسلامي وقد سمي (بدار الفرج) ويقع في شرق الجامع .

المرابطون والخلافة العباسية : عرفت علاقة المرابطين بالخلافة العباسية بكونها كانت وطيدة وحسنة ، فلم يتلقب يوسف بن تاشفين بألقاب الخلافة ، كما رفض التلقب بلقب أمير لأنه لقب خلافي فهو اعتراف واضح بتبعيتهم للعباسيين لذلك استخدم المرابطون السواد شعار العباسيين في ملابسهم واعلامهم . وكان ابن تاشفين يدعو لبني العباس على المنابر وهو اول من تلقب بأمير المسلمين وناصر الدين وكتب الى الخليفة العباسي المقتدي بالله يطلب منه الخلع والاعلام السود والتقليد فأرسل له الخليفة ما أراد كما تفشوا اسمهم على السكة سنة ٤٥٠ هـ الى جانب اسم الخليفة العباسي .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الموحدون في المغرب

٥٤١ – ٦٦٨ هـ / ١١٤٣ – ١٢٧٠ م

خلفاء الموحدون (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٣-١٢٧٠م)

بدأت دعوة الموحدين بمحمد بن تومرت

١. عبد المؤمن بن علي الكومي (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٣٠-١١٦٢م).
٢. أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م).
٣. أبو يوسف يعقوب بن يوسف (المنصور) (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٤٨-١١٨٩م).
٤. محمد بن يعقوب بن يوسف (الناصر) (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م)
٥. أبو يعقوب يوسف بن محمد (المستنصر) (٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٣م).
٦. العادل بن يعقوب بن يوسف (٦١٠هـ/١٢١٣م).
٧. عبد الواحد المخلوع بن يوسف (٦٢٠هـ/١١٢٣م).
٨. عبد الله العادل بن يعقوب بن يوسف (٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٦م).
٩. أدريس المأمون بن يعقوب بن يوسف (٦٢٤-٦٢٩هـ/١٢٢٦-١٢٣١).
١٠. عبد الواحد الرشيد بن المأمون (٦٣٠-٦٤٠هـ/١٢٣٢-١٢٤٢م).
١١. علي بن المأمون السعيد (٦٤٠-٦٤٦هـ/١٢٤٢-١٢٤٨م).
١٢. عمر المرتضى (أحد أحفاد يوسف بن عبد المؤمن)(٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م).
١٣. إدريس أبو دبوس (أحد أحفاد عمر بن عبد المؤمن)(٦٦٥-٦٦٨هـ/١٢٦٦-١٢٦٩م)

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٦-**نشوء امارة الموحدون** : يعد ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت (٤٨٥ – ٥٢٤ هـ) مؤسس الامارة الموحدية .عندما تحولت حركتهم الدينية الاصلاحية الى حركة سياسية تستهدف اسقاط دولة المرابطين وإقامة دولتهم على انقاضها . لذلك قاد ابن تومرت عدة معارك ضد المرابطين. غير ان اعظم المعارك التي خاضها ابن تومرت ضد المرابطين هي سنة ٥٢٤ هـ وأفضت الى دخول مراكش. لكن ابن تومرت لم يستطع وضع نهاية للمرابطين. لانهم كانوا قد استنفروا سائر امراء القبائل المغربية الموالية لهم وولاتها وقادتهم وبذلك كثرت حشودهم العسكرية ووقعت بين الطرفين اكبر معركة امام بستان كبير وقد سميت هذه المعركة (بالبحيرة) هزم فيها الموحدون وتكبدوا خسائر فادحه وسقط معظم الرؤساء والقادة لابن تومرت . وعلى أثر هذه الهزيمة توفي ابن تومرت سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م وخلفه عبد المؤمن بن علي الكومي على رئاسة الموحدين . ويمكن القول ان توليه أمر الموحدين يمثل مرحلة جديدة من مراحل الصراع بين المرابطين والموحدين ، حيث استطاع ان يضع الأساس المتين لدولة الموحدين ، وحشد قواتها واستنفرها في الحرب ضد المرابطين فقد جرت خلال السنوات ٥٢٦ – ٥٤٣ هـ معارك بين المرابطين والموحدين كان النصر فيها حليف الموحدين ثم اتخذت قوات الموحدين تزحف نحو مراكش العاصمة وهزموا المرابطين عند جبل جيليز الذي يشرف على مراكش ثم تسلقوا أسوار مراكش واقتحموا المدينة ودخلوها سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٧ م وقتلوا فيها امير المرابطين اسحق ابن علي بن تاشفين واعوانه . وبدا الموحدون عهدا جديدا في مدينة مراكش حيث اتخذوها حاضرة لهم بعد ان ادخلوا عليها اصلاحات كثيرة. اما فتح الموحدين للأندلس وطردهم للمرابطين منها فقد تم في المدة (٥٤٠ – ٥٥٥ هـ / ١١٤٥ – ١١٦٠ م) .

أبرز أمراء الموحدين : عرفت دولة الموحدين فضلا عن عبد المؤمن بن علي الكومي ثلاثة من الامراء الذين خلفوه في حكم الموحدين هم :

١. ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي (٥٥٨ – ٥٨٠ هـ / ١١٦٢– ١١٨٤ م). كان يتقن علوم اللغة ويعني بدراسة الفلسفة والطب بويع ابو يعقوب بعد

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

موت والده وتابع سياسة والده في داخل المغرب وخارجه وتلقب بالأمير في البداية ولم يتخذ لقب الخلافة الا بعد أربع سنوات من توليته . ثم انصرف الى الجهاد بالأندلس .

٢. يعقوب المنصور (٥٨٠ – ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ – ١١٩٨ م) : تمت له البيعة بعد وفاة والده مباشرة وقام خلال حكمه بأعمال جبارة في ميدان العمران والاحسان كبناء المارستانات والقناطر والابار العامة وكان يصلي بالناس ويجلس بنفسه للحكم والمظالم وكان مجلسه يضم كبار الادباء والشعراء والعلماء كابن زهر الطبيب وابن رشد الفيلسوف وابي بكر بن طفيل وكان معظم حجابه من الموالي واكثر قضاته وكتابه من الأندلسيين ، ومن مآثره البارزة في المغرب والأندلس انه أتم بناء مدينة الرباط وبنى مسجد سلا الكبير ومدرسته كما بنى جامع حسان ولم يتممه وصومعة الخير بأشبيليه والجامع الاعظم بقصبة مراكش وصومعة الكتبيين بها فضلا عن المقصورة التي انشأها. وكانت للمنصور اعمال بارزة في الأندلس على رأسها انتصاره على الممالك الاسبانية الشمالية في موقعة الأرك سنة ٥٩١ هـ .

٣. محمد الناصر (٥٩٥ – ٦١٠ هـ / ١١٩٨ – ١٢١٣ م) : هو ابو عبدالله الناصر محمد بن يعقوب المنصور ولد سنة ٥٧٦ هـ وبويع بعد وفاة والده استوزر وزراء والده وقضى على سلسلة من حركات التمرد والثورات التي ظهرت ضده بعد بضعة اشهر من توليه الحكم وله مأثر جليلة في تجديد وترميم أسوار عدة مدن كما بني مصلى القرويين والباب الكبير بجامع الأندلس ولكنه لم يترك أثاراً عظيمة كالتي تركها والده المنصور . اما أعماله العسكرية في الاندلس قد فشلت بسبب هزيمته في موقعه العقاب في ١٥ صفر سنة ٦٠٩ .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الفصل الثالث

-أهم أمراء المغرب والاسطول البحري

كان النظام البحري ضرورياً في العهد الأول الذي تبع الفتوحات حيث كان العرب يعرفون قليلاً عن ركوب البحر لكنهم يجهلون الحروب وأساليب القتال فيه.

لم يؤسس العرب الفاتحون في افريقية دارا لصناعة الأسطول ،ولم يصبح للمغرب الاسلامي اسطوله الخاص به الى في سنة ٨٩هـ ،وكان العرب الفاتحون لافريقية يعتمدون في غزواتهم البحرية من سنة ٢٨ الى ٨٩ هـ على سفن مصر .

وتبين لولاة العرب في افريقية أهمية انشاء دار صناعة للسفن في احدى مدن الساحل لتزويد الجيش البري بأسطول مستقل عن أسطول مصر.

وأسس زيادة الله الاول بن الاغلب (٢٠١-٢٢٣هـ) نواة للأسطول العربي الاسلامي المزود بالسفن الحربية والمعدات العسكرية لان سياستهم كانت تهدف الى توسيع نفوذهم في حوض البحر المتوسط فقام زيادة الله بسلسلة من الحملات البحرية.

جهود الاغالبة في فتح صقلية :

قام زيادة الله الاول بسلسلة من الحملات البحرية على جزر البحر المتوسط ففي سنة ٢٠١ هـ جهز حملة على سردانية . وفي سنة ٢٠٤ هـ جهز حملة بقيادة محمد بن عبدالله بن الاغلب على جزيرة صقلية . وفي سنة ٢٠٦ هـ توجهت قطعات زيادة الله البحري واسطوله الى الجزر القريبة من تونس ومنها الى سردانية (سردينيه) لكن هذه الحملات على الرغم من كونها لم تحقق كامل اهدافها الا انها اطلعت العرب في افريقية على جزر البحر المتوسط ولا سيما صقلية وسردانيه . واعقبتها سنة ٢١٢ هـ عملية بحرية ضخمة استهدفت فتح جزيرة صقلية . وينسب المؤرخون اقدام العرب على فتح صقلية لعوامل كثيرة منها : -

١-شعورهم بمدى اهمية موقعها الجغرافي لصد غارات الروم على سواحل الامارة الاغلبية .

٢-لدرء خطر المتآمرين واعداء الاغالبة الذين اتخذوا صقلية ملجأ ومستقرا لهم يهددون منها استقرار الامارة وأمنها .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٣-ولغنى هذه الجزيرة فأن بها من الخصب والزروع والمواشي ما يفضل على سائر البلاد الاسلامية المتآخمة للبحر.

٤- فضلاً عن الظروف الداخلية السيئة للجزيرة التي كان أهلها يعانون الكثير من حكم البيزنطيين وثقل الضرائب المفروضة على كاهلهم واستلاب موارد ممتلكاتهم في ظل نظام اقطاعي جائر جعلهم على استعداد لقبول اي تغيير يحقق لهم اصلاح احوالهم المعاشية وتحررهم من اوضاعهم القاسية الناجمة عن هيمنة الحكم البيزنطي الاقطاعي ونفوذ الكنيسة ورجال الدين الذين كانوا يملكون نصف اراضي الجزيرة تقريبا على شكل اقطاعات واسعة .

٥- كما ان صقلية بالنسبة للعرب كانت تمثل معبرا يوصلهم بأوربا في عملهم الجهادي لنشر الاسلام.

٦- أن العامل المباشر لهذه الحملة اقتران باسم قائد الاسطول الرومي في صقلية المدعو فيمي . ففي الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية البيزنطية تعاني من ظروف سياسية مضطربة قد شجع الاغالبة في اقدامهم على فتح جزيرة صقلية.

اعلن فيمي تمرده على الامبراطور ميخائيل الثاني واستيلائه على سرقوصه ونصب نفسه ملكا على صقلية ولكن اتباعه خرجوا عليه وتمكن والي مدينة (بلرم) من هزيمة فيمي واستيلائه على سرقوصة فالتجأ فيمي الى الاغالبة واتصل بالامير زيادة الله وهون عليه امر فتح صقلية واظهر مساعدته له بملك الجزيرة . وقد استغرق فتحها اكثر من ٥٧ سنة وهي مدة ليست بالقصيرة يعزوها للأسباب الآتية : -

١. كانت قوات الفتح العربية في صقلية تواجه مقاومة شديدة من قبل قوات الجزيرة المدعومة بالإمدادات البيزنطية الكبيرة التي كان يرسل بها أباطرة البيزنطيين على عجل لإسناد القوات المحلية المحاربة على ارض صقلية .

٢. بعد المسافة بين صقلية والبر الافريقي مما اضعف سرعة امدادات الاغالبة لقواتهم في الجزيرة .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٣. ان نشاط قوات الفتح العربية في صقلية كان يرتبط بالأوضاع الداخلية للأمارة الاغلبية خاصة وبأفريقية بشكل عام وكذلك يرتبط بأوضاع المسلمين في صقلية ذاتها فاستقرارهم كان يسرع في حركة الفتح .

ومما لاشك فيه ان فتح صقلية حقق للعرب نتائج باهرة على جميع الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية منها :

١. تحولت جزيرة صقلية بعد الفتح الى جزيرة عربية تابعة للإمارة الاغلبية وبذلك تحقق للعرب سيادتهم على عموم البحر المتوسط . واصبح الاسطول العربي يتخذ من صقلية قاعدة هامة للهجوم على الجزر والمضايق القريبة .

٢. ان فتح العرب لجزيرة صقلية ادى الى انتعاش اقتصادي تجاري حيث نشطت التجارة العربية ببلاد المشرق وبلاد المغرب وبين شمال افريقيا وايطاليا وغيرها من دول جنوب أوربا المطلة على البحر المتوسط .

٣. اصبحت صقلية تضم مجتمعا خليطا من اجناس مختلفة وديانات عديدة فمنهم المسلمون من عرب وبربر والنصارى الذين كانوا يشكلون اكثرية في الجزيرة وقد اعتنق كثير منهم الاسلام بمرور الزمن واليهود واقوام من اليونان واللمبارد والصقالبة والسود وغيرهم.

٤. تحولت صقلية بعد الفتح العربي الاسلامي الى احدى اهم المراكز العلمية والادبية في منطقة البحر المتوسط الزاخرة بالعلماء والذين اخذوا يجوبون أقطار المشرق والمغرب من خلال رحلاتهم العلمية ويؤلفون الكتب في شتى انواع العلوم الدينية والدنيوية واليهم يعود الفضل في استخدام الورق الابيض لاول مرة في اوربا وهكذا بقيت صقلية بؤرة إشعار للحضارة العربية الاسلامية بعد سقوطها على يد النورمان.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

١-جدول أمراء الدولة الأموية في الاندلس

١. عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل (صقر قريش) (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٥م).
٢. هشام بن عبد الرحمن الملقب بالرضى (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م).
٣. الحكم بن هشام الاول الملقب بالربضي (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)
٤. عبد الرحمن بن الحكم (عبد الرحمن الثاني أو الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م).
٥. محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨-٢٧٣هـ /٨٥٢-٨٨٦م).
٦. المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨).
٧. عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م).
٨. عبد الرحمن بن محمد (عبد الرحمن الثالث الملقب الناصر الله (٣٠٠-٣١٦هـ /٩١٢-٩٢٩م) كأمير ثم أعلن الخلافة (٣١٦-٣٥٠هـ/٩٢٩-٩٦١م). ودام حكمه ٥٠ سنة و٦ أشهر وهي أطول فترة يتولاها أمير أو خليفة .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

-أمارة عبد الرحمن الناصر وعلاقته بالخلافة

يبدأ عصر الامارة الاموية في الاندلس منذ وصول عبد الرحمن بن معاوية (عبد الرحمن الداخل) وتأسيس أمارة أموية مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق واستمرت هذه الامارة حتى اعلان الخلافة سنة ٣١٦هـ.

حيث حكم الاندلس سنة٣٠٠هـ عبدالرحمن بن محمد وكان شابا في الثالثة والعشرين من عمره ، وقد توافرت في شخصيته صفات العزم وبعد النظر، مما ساعده على اعادة الوحدة الى الاندلس والقضاء على حالة التمزق والاضطراب الذي كان يسود البلاد عيشة تسلمه الحكم .

بدأ عبدالرحمن عهده بتوجيه نداء الى حكام المدن الذين استقلوا عن قرطبة دعاهم فيه للعودة الى الطاعة وترك العصيان ووعدهم بحفظ مكانتهم في الدولة وتقريبهم اليه، في نفس الوقت هدد فيه بقتال الذين لا يستجيبون لندائه ومصادرة اموالهم، فسارع الكثير من حكام المدن المستقلة الى تقديم ولائهم له ، ولم يبق خارجا عن طاعته سوى عمر بن حفصون الذي لم يلبث ان توفي في سنة ٣١٢هـ .

وما آن تحقق لعبد الرحمن استتتاب الامن واعادة الوحدة الى البلاد حتى اقدم في سنة ٣١٦هـ / ٩٢٩م على اعلان نفسه خليفة وتلقب بالناصر لدين الله ، وأمر ان تكون الدعوة له بأمير المؤمنين ،وتحولت الاندلس بذلك من امارة الى خلافة اموية استمرت حتى سنة ٤٢٢هـ ١٠٣١م .

واتخذ لقب الناصر لدين الله على غرار ألقاب الخلفاء العباسيين والفاطميين وأمر أن يخاطب بذلك في المراسلات الرسمية ويدعى له به على المنابر ويثبت ذلك في أعلامه وطرازه وسكته (النقود) فكان أول من يتخذ ألقاب الخلافة من أمراء بني أمية في الأندلس ويعود ذلك أسباب عدة أهمها:

١. ضعف الخلافة العباسية في تلك الآونة وتحكم القادة الأتراك بالخليفة حتى أصبح العوبة بأيديهم.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٢. قيام خلافة فاطمية فتية في المغرب ومصر زاد من شدة المنافسة بين الأمويين والفاطميين.
٣. انتصار الأمير عبد الرحمن الثالث على الثوار والتمرد وخاصة عمر بن حفصون وسيطرته على البلاد وإنهاء حالة الفوضى والاضطرابات وعودة وحدة البلاد شجعته على إعلان الخلافة.
٤. الاستجابة لرغبة الأندلسيين في أن يكون خليفة للمسلمين والذين كانوا يلقبونه بأمير المؤمنين قبل إعلانه للخلافة .

وبهذا الاعلان أصبح في العالم الاسلامي ثلاثة خلفاء في آن واحد بعد أن كانت الخلافة وحدة واحدة لا تقبل التجزئة وكانت ردة الفعل الشديدة لاعلان الخلافة الأموية في الأندلس من قبل الفاطميين إذ اعتبروه تحدياً لهم وتعدياً على حق من حقوق أئمتهم واستمرت المنازعات بينهم ولم يلبث ذلك أن تطور إلى الصدام المسلح بين هاتين الخلافتين في قرطبة والفاطمية في القاهرة.

اما عن الاعمال البارزة التي قام بها الناصر لدين الله فتأتي في مقدمتها حرصه على تحصين الثغور الاندلسية ، كما استولى على ثغور الساحل المغربي المواجهة لساحل الاندلس ، واستولى على مدينة سبته سنة ٣١٩هـ وحصنها وشحنها بالرجال .

اما عن سياسة الناصر نحو الممالك النصرانية في شمال اسبانيا ، فقد وجد نفسه امام حلف اسباني بين ملك نبره وملك ليون اللذان احتلا بعض الاراضي والمدن الاسلامية ، ثم تطلعا للاستيلاء على سرقسطة قاعدة الثغر الاعلى ، فتصدى لهما عبدالرحمن وخاض معها حروبا طويلة والحق بهما عدة هزائم استعاد على أثرها مواقع كثيرة ، وقد واصل الحرب ضد الممالك الشمالية ونجح في القضاء على اعدائه هناك وجردهم من حلفائهم ، وفرض سيطرته على اسبانيا كلها .

١- الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ)

تولى الخلافة بعد وفاة عبد الرحمن الناصر لدين الله ولده الحكم الثاني الملقب بالمستنصر بالله وكان حينئذ قد جاوز الخامسة والاربعين من عمره ، وقد عرف الحكم بحبه للعلم وتقريبه العلماء ، فكان يحرص على نسخ الكتب النادرة او شراءها

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

مهما بلغ ثمنها ، فتوافر في مكتبته في مدينة الزهراء نحوا من ٤٠٠ الف مجلد في شتى الفنون .

اما اعماله العمرانية فأهمها الزيادة الكبيرة التي اجراها في مسجد قرطبة. كما اجرى الماء العذب الى سقايات .

وفي المجال الخارجي كانت سياسته في الواقع استمرارا لسياسه والده الناصر فيما يخص المغرب والممالك الواقعة شمال اسبانيا .

حاول الادارسة استعادة المدن الشمالية في المغرب في سنة ٣٦١ هـ ، ودخلوا في عدة حروب مع الامويين في الاندلس انتهت بهزيمتهم بأستسلامهم نتيجة للسياسة الحازمة التي اتبعها الحكم المستنصر.

٢- هشام الثاني المؤيد بالله :

بعد وفاه الحكم المستنصر بالله عام ٣٦٦هـ بويع بالخلافة ولده وولي عهده هشام وتلقب بالمؤيد بالله ، وكان لا يتجاوز العشر سنوات من عمره ، فتمت مبايعته بقرطبة بفضل مساندة وزير ابيه المنصور بن محمد بن ابي عامر الذي تولي الوصاية على هشام وقد دخل المنصور هذا في صراع مع اعدائه في الداخل والخارج ، فضرب بعضهم ببعض ، وتدعيما لمركزه في البلاد شرع المنصور بغزو الممالك الشمالية فغزا قشتالة وليون ونبرة وقطالونيا سبعا وخمسين غزوة لم ينهزم في واحدة منها طوال مدة حكمة التي بلغت خمسا وعشرين سنة .

اما سياسته نحو المغرب فقد نجح في فرض السيادة الاموية على المنطقة المتمدة الى سجلماسة جنوبا سنة ٣٧٠هـ ، والى ولايتي تلمسان وتاهرت شرقا سنة ٣١٨هـ . وعلى الرغم من النجاح الكبير الذي احرزه المنصور في بلاد المغرب فقد اندلعت الثورات ضد النفوذ الاموي في تلك المناطق ، الا ان المنصور واجهها بحزم وثبات .

اما عن سياسته مع الممالك الاوربية والدولة البيزنطية ، فقد كانت حسنة حيث توطدت علاقاته مع بيزنطة ومع ملك المانيا وايطاليا والامبراطورية الرومانية المقدسة ، كما ان علاقاته مع ملوك اسبانيا في الشمال فقد كانت ودية ، غير ان علاقاته مع قشتالة لم تكن حسنة فقد دخل في حرب مع ملوكها .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٢-أبرز خلفاء المغرب

أ-الفاطميون

يرجع أصول هذه الدولة الى عبيد الله المهدي بن سعيد بن محمد الحبيب الذي يرجع نسبه الى اسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام).

اما مرحلة نشوء هذه الدولة فبدأ بإ{سال داعيتين من مقرهم في سلمية في بلاد الشام ،وبعد وفاة الداعتين ارسل عبد الله المهدي الداعية الحسن بن احمد بن محمد بن زكريا الذي يكنى بأبي عبد الله الشيعي.

وبعد ان مهد ابو عبد الله الشيعي الامور في المغرب الادنى كتب الى عبيد الله المهدي يحثه على القدوم الى هذه البلاد وقد رحل عبيد الله المهدي الى مدينة سجلماسة عاصمة المدراريين في المغرب اذ اكرمه اميرها ، ثم ضيق عليه وسجنه بأشارة من الخليفة العباسي المعتضد ،ولكن استطاع ابو عبد الله الشيعي ان يحرره من سجنه ،وبعدها توجه عبيد الله المهدي سنة ٢٩٦هـ الى مدينة رقادة في تونس واعلن هناك قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وقد أتخذ عدة اجراءات مهمة هي:

١. اتخذ لقب (المهدي امير المؤمنين).
٢. اعتمد على وجوه جديدة بأسناد مناصب جديدة لهم في الدولة مثل الاشراف على بيت المال وقضاء رقادة وديوان الكتابة وديوان الخراج والحجابة .
٣. اثبات المولي في ديوان العطاء.
٤. ضرب السكة بأسمه.

وبعد أن استقرت الامور لعبيد الله المهدي فكر في بناء عاصمة جديدة له وهي مدينة المهدية فقد ابتدأ ببنائها سنة ٣٠٠ هـ واستكمل بناءها سنة ٣٠٥ هثم انتقل اليها سنة ٣٠٨ ،كما اقام دار لصناعة السفن ، خلف عبيد الله المهدي ابنه القائم ابو القاسم محمد .

ب- الموحدين: يرى الموحدون أحقيتهم في الخلافة دون غيرهم. فلما استولوا على الاندلس وامتد نفوذهم الى طرابلس شرقاً والى المحيط الاطلسي غرباً وحاولوا

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الاستيلاء على مصر وما يليها من بلاد المشرق الاسلامي ظهروا وكأنهم يتحدون الخلافة العباسية ، وقد زاد ذلك التحدي وضوحا عندما أقر محمد بن تومرت عبد المؤمن بن علي الكومي على الجيش الموحدي وبهذا لم يجد اتباع محمد ابن تومرت حرجا في ان يلقبوا عبد المؤمن بن علي بلقب (أمير المؤمنين) وهذا اللقب هو من القاب الخلافة العباسية وحدها ، كما امر عبد المؤمن ابن علي بسك نقود جديدة مربعة الجوانب تمييزاً لها عن نقود المرابطين ونقش على احد وجهيها (لا اله ال الله ولا حول ولا قوة اله بالله) وعلى الوجه الاخر (الله مولانا ومحمد رسولنا والمهدي امامنا) وهذا يدل على الاستقلال التام. ولا شك في ان اتخاذ عبد المؤمن بن علي لقب خليفة وتسميته بأمير المؤمنين وتحديد رسوم الخلافة ببلاد المغرب

فلم يعترفوا بالتقليد والاعلام والشارات التي كان يرسلها الخلفاء العباسيون للمرابطين سابقاً . وقطعوا كل صلة كانت تربطهم بالخلافة العباسية روحيا وسياسيا حتى سقوط دولتهم ومجيء بنو مرين الى الحكم .

ج-الدولة الحفصية في بلاد المغرب (٦٢٨هـ /١٢٤١م)

الحفصيون فرع من الموحدين وينتسبون الى الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى الهنتامي ،وترجع أصول الحفصيين بالمغرب الادنى الى ايام أبنه ابو محمد عبد الواحد بن أبي حفص الذي كان صهرا للخليفة المنصور الموحدي ،وقد ولاه الخليفة الناصر بن المنصور الموحدي على البلاد التونسية سنة ٦٠٣ هـ . حيث استطاع أن يقضي على الكثير من عوامل الاضطراب في تونس وحين تولى زكريا بن يحيى بن عبد الواحد الحفضي كانت دولة الموحدين قد وصلت الى درجة كبيرة من الضعف . فأنتهز أبو زكريا الفرصة وأعلن استقلاله بأعمال تونس والقيروان عن دولة الموحدين.

وتمكن أبو زكريا من تأسيس دولة في تونس ،وبعد وفاة أبو زكريا بويع أبنه أبا عبد الله محمداً ولقب نفسه بلقب المستنصر بالله الحفصي وأعلن الدولة الحفصية خلافة إسلامية سنة ٦٥٠ هـ ،وأعترف العالم الاسسلامي بهذه الخلافة ، إلا أن الدولة

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الحفصية أنتابتها الفوضى في أعقاب وفاة المستنصر بالله وذلك لكثرة الخلافات على العرش وأخذت الدولة المجاورة تتدخل في شؤونهم الداخلية وخاصة دولة بني مرين.

٣-الاسطول البحري (المغربي والاندلسي)

لقد عرف التاريخ البحري المغربي خلال العصور الوسطى ، لان الفاتحين المسلمين في شمال افريقيا حيث واجهوا صعوبات مصدرها النشاط البحري البيزنطي لهذا اضطر الى قيام نشاط بحري مماثل ،وحيث استقدموا من دولة مصر عددا من صناع السفن وعملوا على أنشاء دار الصناعة ، لقد عرفت المنطقة كذلك أقدم مناطق بحري هو مضيق جبل طارق.

ان موسى بن نصير منذ أن وجه طارقا للاندلس أمر بصناعة مزيد من السفن لنقل دفعة جديدة من الجند ، كذلك ان دار الصناعة بتونس أنتجت عدداً آخر من السفن استخدمها موسى ن نصير في حملته على الاندلس في سنة ٩٣ ،وهي حملة أضخم بكثير من حملة طارق.وتابع ولاة المغرب بعد موسى بن نصير سياسة الغزو البحري التماسا للجهاد ضد البيزنطيين.

أصبح المغرب الاسلامي في قبضة المدرارية والرستمية وأصاب الخمول قاعدة افريقية البحرية ،وتوقفت غارات المسلمين في بحر المغرب فترة دامت ما يقرب من نصف قرن استعادت بيزنطة خلالها سياستها في البحر المتوسط . وقد ساعد على خمول النشاط البحري في المشرق والمغرب انصراف الدولة العباسية عن شؤون البحر المتوسط وعكوفها على مشاكلها الداخلية.

فمنذ نهاية القرن الثاني للهجرة أخذت بيزنطة تهمل شأن قواتها البحرية مجارية في ذلك المسلمين الذين انصرفوا عن البحر ، غير أن المغرب الاسلامي بعد أنفصاله عن العباسيين في الثلث الأخير من القرن الثاني الهجري لم يحذ حذوهم ، بل أخذ يتجه اتجاها بحريا ،ولم يلبث مسلمو المغرب والاندلس أن أستغلوا لمصلحتهم الاضطرابات التي واجهت البيزنطيين في الداخل، هكذا تغير الموقف في حوض البحر المتوسط الغربي والاوسط ، وآلت السيادة البحرية الى المسلمين .ويرجع الفضل في التفوق البحري الذي أحرزه المغرب الاسلامي على البيزنطيين الى امتداد

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

السواحل المغربية والاندلسية وكثرة المراسي ، حيث منحت الطبيعة بلاد المغرب عامة وافريقية بوجه خاص بالمقومات الاساسية لقيامها بدور بحري هام ، فأن شكل الساحل ،ووضع على شكل شريط ساحلي طويل يتصل بسواحل طرابلس وبرقة وليبيا ومصر من جهة الشرق ،وبسواحل المغربين الأوسط والأقصى حتى المحيط الاطلسي من جهة الغرب ، في الحياة الاجتماعية لسكانه ، فكانوا يتميزون بنشاطهم البحري الذي لم يكن يتضح الا في الاوقات التي يقطع فيها المغرب صلته السياسية بغيره .

وتعتبر طرابلس من أهم قواعد الاساطيل المغربية في العصر الاسلامي ، فكانت مركزا لغارات الاسطول الاغلبي على جزيرة مالطة التي افتتحها الاغالبة في سنة ٢٥٥هـ . وكانت في العصر الفاطمي دار صناعة للاسطول الفاطمي ، فازدادت أهميتها العسكرية عندما اتخذت قاعدة من قواعد أسطول صقلية . وظهر من أهل طرابلس بحريون مهرة شغلوا مناصب كبيرة في البحرية الفاطمية.

أما الاندلس فشبه جزيرة سواحلها يدور بها البحر المتوسط من الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية والمحيط الاطلسي من الجهات الجنوبية الغربية والغربية والشمالية الغربية ولقد تعرضت سواحل الاندلسي لغارات قوى الاعداد ، فكانت الاندلس لذلك (دار وموطن رباط).

-الاسطول الاندلسي في عهد الفتح

لما كان مضيق جبل طارق فاصلاً بين المغرب وبلاد الاندلس فإن الحملات الاستطلاعية الاولى وحملات الفتح . ومن ثم تعاقب الجيوش من والى الاندلس ، فأن كل هذه الامور تحتاج الى أساطيل كبيرة لنقل المجاهدين وخيولهم وعتادهم. كان الاعتماد الاول وقبل كل شيء على الاساطيل العربية التي كانت تحت أمرة موسى بن نصير على طول الساحل المغربي.

-الاسطول الاندلسي في عهد الولاة

وعندما أكمل المسلمون فتح الاندلس (٩٢-٩٥هـ) وبدأ عصر الولاة في الاندلس (٩٥-١٣٨هـ) اطلت جيوش المسلمين على سواحل اندلسية طويلة ،

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

تشرف على البحر المحيط (الاطلسي) وعلى البحر المتوسط مما يجعلها عرضه لأي هجوم بحري . ولذا أعتمد المسلمون على دور الصناعة القديمة. كما أستفادوا من خدمات الخشب والحديد اللازمة لبناء السفن.

أن الاسطول الاندلسي لم يكن قوياً في هذا العصر ، حيث ظهر الاهتمام به في عصر الامارة .

-الاسطول الاندلسي في عهد الامارة الاموية

عهد عبد الرحمن الداخل

وفي عصر الامارة الاموية في الاندلس (١٣٨-٣١٦) اهتم عبد الرحمن الداخل بثغر الجزيرة الخضراء وعهد ادارتها الى الرماحس بن عبد الرحمن ،واشتهر أفراد هذا البيت بقيادة الاسطول الاندلسي على عهد الامويين .

لقد ازداد النشاط البحري في عهد الأمير هشام الاول هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢-١٨٠هـ) عل الساحل الشرقي للاندلس ،وكان قوام هذا النشاط حملات بحرية قام بها جماعات من البحارة ، هاجموا فيها بعض الثغور والجزر القريبة.وقد زاد هذا النشاط ايضاً في عهد الامير الحكم بن هاشم (١٨٠-٢٠٦هـ).

ولما فتح الاغالبة جزيرة صقلية عام ٢١٢هـ ، بدأت الاساطيل البيزنطية تهاجم القوات الاسلامية فيها ، ففي عام ٢١٤هـ وجه الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ) ،حملة بحرية خرجت من ميناء طرطوشة الى صقلية لتعزيز الحامية الاسلامية فيها . وفي عام ٢٢١ هـ خرج أسطول أندلسي من ثغر طركونة وهاجم مرسيلية وما حولها.

مع كل هذا فإن البحرية الاندلسية كانت لا تزال محدودة في إمكانياتها ووسائلها ،فلم تكن لديها القواعد والمحارس والسفن الكافية لحماية جميع سواحلها ولاسيما الغربية منها ، ولهذا عجزت عن حمايتها عندما هاجمتها أساطيل النورمان عام ٢٢٩هـ.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وكان لهذا الهجوم النورماني أثر كبير على الاندلس ، حيث ادى الى الاهتمام بالسواحل الغربية للاندلس وبناء التحصينات فيها. وكانت النتيجة المهمة هي أنشاء دار صناعة أشبيلية وانشاء المراكب.

عناية عبد الرحمن الناصر بالأساطيل :

عندما بويع عبد الرحمن بن محمد – الذي تلقب بالناصر لدين الله فيما بعد– بالأمارة في سنة ٣٠٠هـ ، كانت الاندلس تحتدم بالثورات والفتن ،. وكان من الطبيعي أن يبدأ الامير عبد الرحمن بتدعيم الجبهة الداخلية قبل أن يواجه الاخطار الخارجية .وكانت اعظم المشاكل الداخلية التي واجهته هي ثورة عمر بن حفصون. الذي كان يسعى للاطاحة بدولة بني أمية والاستئثار بولايتها في ظل الخلافة العباسية ، فلما سقطت دولة الاغالبة وقامت الدولة الفاطمية في سنة ٢٩٦هـ ، اتصل بالمهدي ورغبه في ضم الاندلس اليه وعده، المهدي بالنصرة ، ووصلته بالفعل مراكب في البحر رست في سنة ٣٠١هـ بالساحل الجنوبي من الاندلس.

ومنذ ذلك الحين بدأ عبدالرحمن بن محمد أمير قرطبة يهتم اهتماما جديا بالأساطيل البحرية ، فعمل على انشاء أسطول قوي يدفع به عن الاندلس الاخطار الخارجية التي تتعرض لها. ويذكر أن أسطول الاندلس يتكون من مائتي مركب أو نحوها .

ويعتبر عبد الرحمن بن محمد المؤسس الحقيقي للأسطول الاندلسي ، فقد نشطت حركة الانشاء وصناعة السفن في عهده الى حد أنه أنشاء لهذا الغرض عددا كبيرا من دور الصناعة في مدن الاندلس ، واستخدم لذلك أخشاب الصنوبر التي تنبت في طرطوشة لجودتها وصلاحيتها للإنشاء . وبادر في سنة ٣١٤هـ بالاستيلاء على طنجة ومليلة ، وفي سنة ٣١٩هـ على سبتة ، وبذلك أصبح يمتلك معبري الاندلس ، أن عبد الرحمن بن محمد هو الذي أمر بتأسيس دار الصناعة بنطجة ودار صناعة قصر مصمودة القريبة من سبتة ، وكانت تنشأ فيها المراكب والحراريق التي يسافر فيها الى بلاد الاندلس .

ولم يلبث النزاع بين الفاطميين في المغرب والامويين في الاندلس أن تطور الى صدام بحري مسلح ، ففي سنة ٣٤٤هـ قطع المركب الكبير الذي انشاءه عبد الرحمن

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الناصر طريق مركبا يحمل رسولا من الحسين بن علي أمير صقلية الى المعز لدين الله الفاطمي ، واستولوا على ما فيه ،. فلما بلغ المعز ذلك ارسل اسطولا بقيادة الحسين بن علي صاحب صقلية ، وسيره الى الاندلس ، فهاجم الاسطول الفاطمي مدينة المرية في نفس السنة ، واستولوا على المركب الاندلسي الكبير ، وكان قد عاد من الاسكندرية مشحونا بأمتعة للخليفة عبد الرحمن ، وكان رد الفعل الاندلسي على هذه الغارة البحرية شديدا ، فقد هاجم الاسطول الاندلسي بقيادة أمير البحر غالب سواحل افريقية في العام التالي (٣٤٥هـ) في ستين سفينة ، وفي أول المحرم سنة ٣٤٧هـ أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر صاحب الشرطة القائد أحمد بن يعلي بالخروج غازيا في الاسطول الى سواحل افريقية .

وجه الناصر أساطيله الى قطلونية وافرنجة للغزو ، ففي سنة ٣٢٨هـ خرج محمد ابن رماحس في حربيتين الى طرطوشة .

-قيام المرية قاعدة بحرية

ظلت بجابة تحتفظ بمكانتها طوال النصف الاول من القرن الرابع الهجري ولكنها اخذت تفقد بالتدريج اهميتها منذ أن امر عبد الرحمن الناصر ببناء المرية وتمصيرها سنة ٣٤٤هـ.

وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب " . وبازدهار وتألقها اضمحلت بجانه ، وأصبحت في طليعة القرن الخامس الهجري مجرد قرية ، في الوقت الذي ارتفعت المرية الى مصاف الحواضر .

وأصبحت المرية اهم موانئ الاندلس في القرن الرابع الهجري واشهر مراسيلها وأعمرها ، وكان خليجها العميق الفسيح يضم معظم وحدات الاسطول الاندلسي ، فكانت المرية مرفأ أساطيل الاندلس ، وكانت دار الصناعة بالمرية تقوم بأنشاء السفن والعدة والآلات اللازمة للسفن وما يقوم به الاسطول ، وكان يحصن دار الصناعة برج يقوم على بابها ، مهتمة بدعم أسوارها والدفاع عنها في حالة اقتحام الاعداء لثغر المرية .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وكان لقائد أسطول المرية أهمية خاصة في الدولة الاموية ، حيث لم يكن يقطع فيها برأي دون الرجوع الى ثلاث شخصيات : الاول قائد جيش سرقسطة حاضرة الثغر الاعلى لأهمية موقعها ، والثاني قاضي قرطبة ، الثالث قائد أسطول المرية .

ويرجع سر اختيار الخليفة عبد الرحمن الناصر لهذه المدينة لتكون مرفئ الاساطيل الاندلس وقاعدة للحط والاقلاع الى حصانتها من جهة البر ، والحصانة والمنعة شرط من الشروط اللازم توافرها في المدن الساحلية. وبالإضافة الى هذا الشرط تمتاز المرية بتوافر شرط آخر وهو ان تقع المدينة الاسلامية بالقرب من نهر ، والى جانب هذه المزايا ، كان خليجها شديد الاتساع والعمق بحيث يمكنه ان يضم عددا كبيرا من السفن ، بالإضافة الى أنه كان يمتاز بهدوء مياهه وقلة أمواجه .

اكتسبت المرية ، شهرة كبرى في التجارة العالمية ، وقد عرفت بأنها باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق ، على الرغم من قلة خيرات اقليمها ، واعتمادها على ما كان يجلب اليها من ساحل العدوة من ميرة وأقوات ،والسبب في شهرتها التجارية يرجع الى أنها كانت محط السفن القادمة من المشرق الاسلامي والاقطار الاوربية .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الفصل الرابع

- مرحلة الضعف وعصر الطوائف

دراسة في الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي ادت الى ضعف ونهاية الخلافة الاندلسية نوجزها بما يأتي :

١- ظهور التيار المرواني بعد وفاة الحاجب المنصور العامري الذي استغل الوضع وانتهز فرصة غياب القوة.

٢- ظهور الأحقاد السياسية الطامعة بالسلطة من زعماء ورؤساء متنفذين في مدن الاندلس والتفاف اعداد من الموالين والمؤيدين لهم.

٣- الإرهاق والمتاعب التي لحقت بالجيش الاندلسي من جراء الحملات العديدة التي شنها الحاجب المنصور العامري والتي ارهقت الميزانية الاقتصادية .

٤-كان للممالك الاسبانية دور بارز واثر مهم في تدهور الاوضاع وضعف الخلافة لكثرة الاعتداءات الحربية على الثغور الاندلسية وعدم التزام ملوك الاسبان بالعهود والاتفاقيات المعقودة مع حكام الاندلس فضلا عن دور الممالك في التحريض على اعمال الشغب والفتنة في داخل الاندلس .

٥- سياسة القوة والبطش والعنف التي مارسها الحاجب المنصور العامري وابنه المظفر مع كبار الموظفين في الخلافة والعمل على تصفيتهم مما جلب النقمة والغضب والحقد عل الحجاب، حيث سارع احفاد الموظفين للانظمام الى اي تيار معادي ومخالف لتغير السلطة الاندلسية .

٦- دور النساء في التدخل بشؤون السلطة والتحريض على التآمر على الحجاب العامريين كالسيدة صبح الاسبانية والذلفاء أم محمد المهدي التي اتهمت بقتل الحاجب المظفر .

٧-كان للقبائل البربرية في الاندلس دور فعال في أثارة اعمال الشغب والفتنة تحت قيادة محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي الذي نجح في كسب فئات متعددة من العامة الغاضبين والساخطين والمتسولين في تمرده وعصيانه ،

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٨- ثم اقتحام دوائر الخلافة ، حيث خربت ودمرت وفتحت أبواب .

٩. تم تخريب مدينة الزاهرة وتدميرها.

١٠. الأعتداء على الخليفة هشام الثاني الذي أصابه الذعر لما سمعه وتم وصفه له من خراب ودمار للأندلس .

١١. ومن أخطر الاحداث التي شهدها الاندلس هو استعانة القادة الثائرين والطامعين بالسلطة واتصالهم بحكام وملوك المماليك الإسبانية يطلبون العون والمساعدة إلى ايصالهم إلى كرسي الخلافة

١٢. سقوط اعداد كبيرة من المسلمين ضحية العدوان والغدر والانتقام في هذه الفتنة

-عصر ملوك الطوائف في الأندلس (٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣١-١٠٩١م)

بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس تبعها انقسام البلاد الى دويلات صغيرة متنازعة ، اذ أنفرد كل كيان منها على حدة ،واستقل كل أمير بناحيته وأعلن نفسه ملكا عليها ،وبذلك دخلت الاندلس في عصر جديد هو عصر ملوك الطوائف ، حيث حكم كل منها في الأغلب أسرة يتوارثها ابناؤها ولكل حاكم وزراؤه وقضاته وقادته ورجال مملكته ولكل مملكة عاصمة هي إحدى القواعد الاندلسية يتبعها عدد من المدن والقرى والحصون وتتغير حدود عدد منها بين مد وجزر ، بسبب نزاعها فيما بينها أو مع مالك إسبانيا المسيحية ، والضعيفة منها ، تحتويها أحياناً المملكة القوية وأهم هذه الممالك (الطوائف) هي :

١. ممكلة أشبيلية : تقع غرب الاندلس وحكمها بنو عباد.

٢. مملكة غرناطة : تقع جنوب الاندلس وحكمها بنو زيري.

٣. مملكة سرقسطة : تقع في الثغر الاعلى وحكمها بنو هود.

٤. إمارة قرطبة : تقع وسط الاندلس وحكمها بنو جهور.

٥. مملكة طليطلة : تقع في الثغور الاوسط وحكمها بنو ذي النون.

٦. مملكة بطليوس : تقع في غرب الاندلس وحكمها بن الافطس.

٧. مملكة بلنسية : تقع في شرق الاندلس وحكمها الصقالية.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٨. مملكة دانية وجزر البليار : تقع في شرق الاندلس في البحر المتوسط حكمها مجاهد العامري.

ويعتذر عرض جميع هذه الممالك والامارات – وعددها أكثر من عشرين(٢٠) مملكة ،ولكن يمكن تقسيم هذه الكيانات او الدويلات على ثلاثة اقسام او احزاب رئيسة هي :

١-**الحزب الاول (أهل الجماعة)** : وهو حزب أهل الاندلس الأصلين ، أي أهل البلاد الذين استقروا بها منذ فترة طويلة وانصهروا في البوتقه الاسبانية بمرور الزمن وصاروا أندلسيين بصرف النظر عن أصولهم سواء كانت عربية أو بربرية أو صقلبية أو من الاسبان المسيحيين.

٢-**الحزب الثاني (الطارئون)** : وهم حديثو العهد بالاندلس من الذين جاءوا الى الاندلس مثل بني زيري الصنهاجيين في غرناطة وبني حمود الأدارسة في مالقة والجزيرة الخضراء وهم الذين نازعوا الأمويين على الخلافة بقرطبة.

٣-**الحزب الثالث (الصقالية)** : وهم الذين قدموا الى الاندلس كمماليك وخدموا أمراء بني أمية ، ثم الفوا فئة خاصة مستفيدين من قربهم من الحكام سواء الامويين او بني عامر (الدولة العامرية) أيام تسللهم الى الحكم.

وبينما كانت الاندلس تعاني من هذا الوضع المزري كان النصارى الاسبان في الشمال –بالمقابل– يعملون على توحيد قواتهم بمساندة فرنسا والبابوية للانقضاض على العرب المسلمين وطردهم من الاندلس.

لجأ أغلب ملوك عصر الطوائف الى ملوك النصرانية في الشمال الاسباني للاحتماء بهم أو طلب العون والدعم العسكري من أجل المحافظة على كرسي الحكم مقابل دفع مبالغ من أموال المسلمين أو منحهم امتيازات وحقوق وأراضي وممتلاكات عامة ،وحمل بعضهم الهدايا الى حكام الممالك الاسبانية تملقا وإرضاءاً لهم.

تمكن الفرنسو السادس من توحيد مملكته تحت سيطرته وكان طموحاً مفعماً بالروح الصليبية ، فما أن فرغ من حرب الوراثة حتى بدأ هجومه الكبير على الاندلس وكانت خطته التي وضعها لتحقيق هدفه تقوم على ثلاث دعائم رئيسية وهي :

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

١. اذكاء نار الفتنة بين ملوك الطوائف لتبقى مشتعلة بأستمرار ومساعدة كل منهم في نزاعه مع الأخرين فربطهم كلهم بعجلته حتى كانوا يتسابقون في التقرب إليه.
٢. ابتزاز أموالهم مقابل تلك المساعدات التي كان يقدمها إليهم فضلاً عن الجزية السنوية التي كانوا يدفعونها إليها إتقاء لشره بحسب أعتقادهم ،وهو بذلك يضعفهم اقتصادياً في حين أنه بهذه الأموال يعمل على تدعيم قوته .
٣. تخريب أراضي كل من يحاول الخروج عن طاعته وذلك بالغارات التخريبية السريعة التي تخرب الزروع وتنهب المحاصيل وأقوات الرعية لاضعاف السكان عن الصمود واجبارهم على الهجرة منها الى أماكن أكثر أمناً ، فتخلوا تلك الاراضي والمواضع له حيث كان يقوم بعد ذلك بالاستيلاء على حصونها ومدنها وقراها الواحدة تلو الاخرى.

كانت إمارة طليطلة هي هدفه الاول فبدأ بمهاجمتها واحتلالها سنة ٤٧٨هـ /١٠٨٥م ، على الرغم من أن المعتمدد بن عباد كان يؤدي له الجزية كغيره من ملوك الطوائف ،ولما كان المعتمد بن عباد يدرك انه لا يستطيع الصمود في وجه الفرنسو السادس ، لذلك اتجه ليوسف بن تاشفين أمير المرابطين في المغرب واستنجد به لانقاذ الاندلس وكان المعتمد يدرك أن ملكه يضيع سواء لفونسو او ليوسف بن تاشفين مفضلا تسليم مملكته للمسلمين على ان يأخذها النصارى.

فسارع هؤلاء بالعبور الى الاندلس بقيادة زعيمهم يوسف بن تاشفين في منتصف ربيع الاول سنة ٤٧٩هـ، وحين علم الملك الفونسو السادس بذلك رفع الحصار عن سرقسطة ، واسرع لمواجهة جيوش المسلمين ، وتم اللقاء في الشمال في بطليموس عند الزلاقة في ١٢ رجب سنة ٤٧٩هـ واحرز المسلمون في هذه المعركة انتصارا كبيرا على جيوش الفونسو الذي فر من المعركة جريحا ، وولي من بقي من عساكره منهزمين بعد أن قتل معظمهم .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وقد أدى هذا الانتصار الى تثبيت أقدام المرابطين في الاندلس فقضوا على ملوك الطوائف ووحدوا الاندلس . ثم ما لبثوا ان خرجوا عن البلاد ،التي عادت الى ما كانت عليه من الفرقة والتمزق. فوجه الموحدون جيوشهم الى الاندلس ، وكانوا قد ورثوا المرابطين في المغرب ، وتمكن الموحدون من تحقيق النصر على الاسبان في موقعة الارك سنة ٥٩١هـ /١١٩٥ م ، غير انهم ما لبثوا ان هزموا في موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م . التي حشد لها الاسبان الجيوش من فرنسا والمانيا وانكلترا وايطاليا ، واضطر الموحدون الى الرحيل عن الاندلس بعد ان انحسر نفوذ العرب المسلمين في مقاطعة غرناطة التي استمرت تصارع الزحف الاسباني الاوربي من سنة ٦٣٠هـ الى ٨٩٧هـ ١٤٩٢م حيث سقطت في هذه السنة . وانتهى بذلك آخر مظهر من مظاهر الحكم العربي الاسلامي في بلاد الاندلس الذي استمر ثمانية قرون.

وعلى الرغم مما ذكر عن عصر الطوائف من تمزق سياسي وحروب دامية الا أنه ظهرت جوانب ايجابية فيه منها :

١. أزدهار النهضة الفكرية والادبية وتنافس أمراء الطوائف على كسب ود الشعراء والادباء والعلماء والفقهاء حتى غدت بعض قصورهم منتديات أدبية وعملية ومن أبرز ظواهر هذا العصر أن يكون معظم الملوك والرؤساء من أكابر الأدباء والشعراء.
٢. الدعوة الى توحيد الاندلس وجمع كلمة ملوكها : اذ قام بها عدد من العلماء ،فضلا عن الشعراء والامراء .
٣. ايقظت الاوضاع العامة أهل الاندلس من سباتهم وذلك عما أصاب بلدهم من انقسام وتمزق سياسي وتجمعوا كمتطوعين مع المرابطين من العدوة المغربية بعد عبورهم الى الاندلس في حركة الجهاد للدفاع عن الدين والارض كما أزدهر نظام الفروسية وتطورت نظم القتال والاسلحة.
٤. ازدهار الحركة العمرانية في بناء القصور والقلاع والحصون الدفاعية في مدن الاندلس التي لا تزال اطلالها شامخة في اسبنانيا كما في المريه ودانية من الحصون والقلاع والقصبات وغيرها.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الفصل الخامس

العلاقات السياسية والعسكرية والثقافية بين امارات المغرب والاندلس

١- المدراية :-

من المؤسف اننا لا نملك معلومات وفيرة ومفصلة عن مساهمات المداريين في الحركة الثقافية والعلمية اذ قورنت بما نعرفه عن الرستميين ولعل السبب على اكثر الاحتمال ، انه لم يتبق من آثارهم الفكرية ما يجعلنا نأتي بكثير من التفصيلات والمعلومات المهمة ، حيث تعرض اكثره الى التلف والاهمال ، لكن هناك ما يشير الى اهتمام المداريين في عقد حلقات الدرس العلوم الاسلامية او الاجتماعيات لتعليم ولتدريس العلوم سواء الديني او علوم اللغة العربية او العلوم العقلية او ما يشير الى وجود مهنة تعليم الصبيان وتأديبهم في مدينة سلجماسة .

٢- الرستميون :

نهج الرستميون في علاقاتهم مع امويي الاندلس سياسة ودية ربما اوجبتها الضرورة السياسية بتوطيدي العلاقات بين تاهرت وقرطبة اذ يتعرض الطرفان لعداء القوى السياسية المتمثلة بدولة الاغالبة ودولة الادارسة ، ومن ثم التقي الطرفان حول مصالحهما السياسية المشتركة ،،

ويذهب بعض الكتاب الى ان العلاقات بين تاهرت وقرطبة ، قد بلغت حد التحالف السياسي الرسمي في حين لم تتعد العلاقات بين الطرفين صلات الود وتبادل السفارات والهدايا ، كما قامت علاقات تجارية فكانت السفن تتردد بين وهران والمرية حاملة المتاجر والعلماء والمسافرين ، واستقبلت حاضرة الرستميين تاهرت كثيراً من اهل الاندلس حتى انهم اصبحوا جالية اندلسية كبيرة فيها .

ويتفق اغلب المؤرخين ان العلاقات بين اموي قرطبة واصحاب تاهرت ما كانت اكثر توطداً الا بعد تأسيس تاهرت مركز الرستميين السياسي والحضاري يعد ، استعانة الرستمين بالمهندسيين ومن لهم خبرة بانشاء المدن ومهما يكن من امر ، فأن تردي العلاقات بين الدولتين الرستمية والأموية تاهرت وقرطبة وعنادت العلاقات التقليدية

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

بين الطرفين ووصلت البعوث الى تشير اليها بعض المصادر ، لم تكن الا لفترة قصيرة فقد زالت الحفوة بين تاهرت وقرطبة ،وعادت العلاقات التقليدية بين الطرفين ، كما اتخذ بعض الامراء الاندلسيين الوزراء والحجاب من البيت الرستمي وبظهور الفاطميين على المسرح السياسي تعرضت القوى لسياسية جميعها الى التهديد الفاطمي ، سواء في المغرب او في الاندلس ، لذا استوجب القيام بعمل مشترك بين تاهرت وقرطبة لاتقاء هذا الخطر الذي بات وشيك الوقوع ، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، فقد سقطت الدولة الرستمية سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م بيد الفاطميين ولم يقم حكام قرطبة لنجدتهم .

٣- الادارسة :

كانت العلاقة مع الادارسة متأرجحة ؛ لأن الإمارة الادريسية تدور في فلك السياسة الفاطمية مرة والأندلسية مرة أخرى ، وهي تنحاز في ولائها ولانها للأقوى فقد قطعوا الدعوة للأمويين وقاموا بثورة سنة (٣٦١هـ) .

ترك الادارسة أثرا واضحا في الحياة الثقافية ، ليس في المغرب الآقصى فحسب بل في جميع انحاء المغرب العربي الاسلامي ، فلم يمض وقت طويل على قيام دولة الادارسة ، حتى برزت مدينة فاس واصبحت مركزا للثقافة والفكر يشد اليه العلماء وطلبة العلم ومريدوه ، الرحل من جميع انحاء العالم الاسلامي .

لقد تلقت مدينة فاس في عصر الآدارسة ، تأثيرات علمية وفكرية وثقافية وحضارية مادية مزدوجة من بلاد الاندلس ومن القيروان في الوقت نفسه ، فالمدينة كانت تتألف من عدوتين ، واحدة للاندلسيين واخرى للقيروانيين او القرويين ، وكان اهل كل من هاتين العدوتين ، قد نقلوا كثيراً من تراثهم العلمي والفكري الى مستقرهم في فاس . ولا تخفي الآهمية التاريخية لكل من القيروان والاندلس وعاصمتها قرطبة ، وخاصة من الناحية العلمية والحضارية ، حيث ان كلاً من القيروان وقرطبة مركزان بارزان في سعة العلم والثقافة ان الوافدين من الاندلس ، نزلوا بعدوة الاندلس وهي قسم من مدينة فاس ، ان الادارسة وضعوا الأسس الكفيلة ، لكي تصبح حاضرتهم مركزاً لعلم القيروان وقرطبة ، وذلك بعد تأسيسها بزمن قصير .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٤- الاغالبة :

اتخذت علاقات بني الاغلب منذ قيام دولتهم مع الخلفاء العباسيين طابعاً ودياً أتسم باستمرار صلات التحالف ، وهو امر اقتضته طبيعة العلاقات بين الطرفين . وكان تولي الامراء الاغالبة لولاياتهم قد استلزم عهد بالولاية (التقليد) من الخلافة في مقابل التبعية الاسمية لها ، وعموماً فان العلاقات في الظاهر اوجبتها الضرورة السياسية ، وحرصت ان تكون على نمط واحد في جميع العهود ، أن الاغالبة يفضلون الابتعاد عن مناجزة اية قوة سياسية او مناهضتها والاحجام عن اذكاء او تشجيع ما يؤدي الى الخصومة والعداء ، واثروا حياة الهدوء والموادعه ولكنهم لم يعدموا ازاء الضغوط العباسية وسياسة التبعية من وجود عملاء وصنائع لهم في الدول التي تقف منهم موقفا عدائيا فيحملون على مناهضة الكيانات القائمة لإسقاطها مثل الرستميين والادارسه وبني مدرار وأموي الاندلس .

ومن الواضح ، ان الاغالبة بكونهم اداة الخلافة العباسية وعمالها في افريقية ورمزا لنفوذها الوحيد في جميع بلاد المغرب ، فأنهم يعجزون في كثير من الاحيان عن تقديم صورة بلون آخر ، لمواقفهم وعلاقاتهم مع القوى والفئات والعناصر الاخرى، وذلك لآن هذه القوى قد تأصل عداؤها للعباسيين

-الاحوال الفكرية والثقافية العلمية للأغالبة:

يتجلى اثر لأغالبة الثقافي والعلمي طوال مدة حكمهم لأفريقية وصقلية الذي استغرق القرن الثالث الهجري ، فيما تركوا من بصمات واضحة في الحركة الثقافية والعلمية ، غير ان اكبر مأثرة تركها الاغالبة في تاريخ الحضارة العربية والفكر الاسلامي ، هو تحريرهم لجزيرة صقلية ان عهد الاغالبة كان يتسم باتاحة الحرية الفكرية والثقافية والحق يمكن الافادة هنا ان القيروان في هذه الفترة اضحت من كبريات مدن العلم والثقافة ليس في المغرب فحسب ، بل في جميع انحاء العالم الاسلامي ، فقد استقطبت اليها العلماء والمدرسين . كما كان يفدها طلبة العلم سواء من المشرق من بغداد ودمشق ومصر او من حواضر المغرب من تاهرت وسجلماسه وفاس وقرطبة.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٥- **الفاطميون** :- بقيت علاقات الأندلس مع الفاطميين يسودها العداء ؛ لان الخلافة الفاطمية في المغرب كانت تنافس الخلافة الأموية في الأندلس من أجل السيطرة على المغرب من خلال الصراع القائم بين قبيلتي صنهاجه وزناته ؛ إذ تمكنت صنهاجه ممثلة بالإمارة الزيرية من السيطرة على النصف الشرقي من المغرب، أما القسم الغربي منه والذي يمتد من نهر الملوية الى طنجة فقد سيطرت عليه زناته حليفة الأمويين وبذلك حصل التوازن بين القوى المتنافسة ، وقد قام الجواسيس بدور كبير في الدعاية للفاطميين هناك ، كما امدوهم بمعلومات هامة عن الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فيها اللازمة لهم لوضع خططهم لغزوها ، وبالمقابل قامت الخلافة الأموية بتحصين الثغور الأندلسية الجنوبية تحسباً لأي هجوم مفاجئ كذلك اهتموا بالبحرية (الأسطول الأندلسي) ليقف على قدم المساواة مع الفاطميين الذين ورثوا بحرية قوية عن الأغالبة .

استمرت الهجمات المتبادلة بالأساطيل بين الطرفين مدة طويلة بين الأسطول الأندلسي والاسطول الفاطمي ، وكانت النتيجة سجالا بينهما الى أن رأى الفاطميون العدول عن الاستيلاء على الأندلس والعمل على فتح مصر سنة (٣٦٢هـ)

لقد تميزت الحركة الثقافية والفكرية التي ارسى الفاطميون اسسها في بلاد المغرب ومصر بالعمق والشمولية ، فقد تعهدوها بمستلزمات النمو واثروها باستيعاب علمائهم ونضجهم واهتمام خلفائهم بالاشتغال بالعلوم والفنون والمعارف ، فقربوا العلماء والفقهاء والقضاة والمحدثين والقراء وشيدوا القصور التي اصبحت ميدانا لتجمع العلماء والفقهاء يتنافسون ويتناظرون ويتطارحون في العلوم الدينية واللغة والشعر ، اما المساجد فقد كانت بمثابة مراكز للعلماء والقضاة والوزراء يحاصرون الناس في العقائد والفقه فلا غرو ان يتحول الجامع الازهر الذي كان في بدايته يقتصر على اقامة الدعوة للفاطميين الى جامعة سنة ٣٧٨هـ تدرس فيها العلوم والآداب . كما دأب الفاطميون على تأسيس المكتبات التي كانت تحوى على مئات الالوف من المصنفات

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

ويبدو ان مكتبات الفاطميين كانت تنفرد باقتناء كتب لم يكن لها وجود في المكتبات الأخرى مثل قرطبة او دمشق او اي مركز حضاري في العالم الاسلامي،

٦-**المرابطون** : سبق وان درسنا قيام دولة المرابطين في المغرب ، والآن نتعرف عن دورهم في إنقاذ الأندلس خاصة بعد سقوط طليلة سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م بأيدي الأسبان وقد احدث سقوطها دوياً هائلا في المغرب والأندلس على السواء . فأحس ملوك الطوائف بأخطائهم الفادحة بعد فوات الأوان ، بل إن سقوط طليطلة كانت نذيراً بالنهاية المحتومة للعرب المسلمين في الاندلس.

ويبدو أن أمير قشتالة الفونسو السادس كان على علم بالاتصالات بين الأندلسيين والمرابطين فأرسل رسالة ليوسف بن تاشفين يحذره من التدخل في الأندلس ويتهدده ولكن السلطان المرابطي كان قد عقد العزم غلى انجاد الأندلس ، فرد على هذا التحدي بأن كتب له على ظهر تلك الرسالة : " الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه أذنك "

وفي سنة (٤٧٩هـ / ١٠٨٦م) عبر يوسف بن تاشفين بجيش المرابطين من مدينة سبته الى الجزيرة الخضراء ، وحصنها واتخذها قاعدة لعملياته العسكرية ؛ وانظم اليها من رغب في الجهاد من الأندلسيين ، ومن اشبيلية توجهت نحو بطليوس في غرب الأندلس للقاء العدو ، وكان الفونسو وقتئذ يحاصر سرقسطة وحينما علم بقدوم يوسف بن تاشفين ألى الأندلس ، فك عنها الحصار وسار بجيشة الضخم حيث كان قد استنفر هو الأخر القوات من مختلف أقطار غرب اوروبا والتقى الطرفان في فحص الزلاقة إلى الشمال من بطليوس ، التي أسفرت عن انتصار المسلمين انتصارا حاسماً . وعدت هذه المعركة من معارك الإسلامي في الأندلس من سقوط محقق ، وكتب للأندلسيين عمراً جديداً فيها ، وثبت أقدام المرابطين في تلك البلاد ، ووحد المغرب والأندلس في ظل دولة واحدة .

نتائج معركة الزلاقة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)

١. رفع شأن المرابطين أمام الرأي العام الإسلامي وصورهم في صورة المجاهدين عن الإسلام الذابين عن ثغوره .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٢. حرر سرقسطة وحماها من السقوط في أيدي الأسبان وكانوا يحاصرونها قبل معركة الزلاقة .
٣. النصر في هذه المعركة أحدث تغيير مفاجئاً في مجرى حركة الاسترداد التي خططها الفونسو لسادس إذ أرسل طالباً العون من أمراء الأقاليم الجنوبية لفرنسا ثم غير رأية خوفا من أن يعقد ذلك من علاقته مع ملوك الطوائف بعد عودة يوسف بن تاشفين للمغرب.
٤. اسقط من قدر ملوك الطوائف في نظر رعيتهم ومهد السبيل إلى إسقاط دويلات الطوائف / ضم الأندلس الى دولة المرابطين في المغرب (الاندلس ولاية مرابطية) .

لقد ساءت احوال الأندلس بعد معركة الزلاقة بفترة حيث تمكن الفونسو السادس من استعادة قواه كذلك استمر ملوك الطوائف في صراعاتهم وخلافاتهم ثم وصلت كتباً الى يوسف بن تاشفين من قادة جيشه في الاندلس سنة (٤٨١هـ) .

أقام يوسف بن تاشفين في الأندلس لفتره قصيرة حيث جدد وصاياه لملوك الطوائف ، وترك قسما من جيشه لدعم ثبات أهل الاندلس ، وعاد هو بالباقي من الجيش الى المغرب . ولكن عاد أمراء الطوائف الى خلافاتهم من جديد ، الامر الذي جعل رعاياهم يمقتوهم لما كانوا يعانونه من حكمهم ، ويتمنون الخلاص منهم وتسليم الأندلس ليوسف بن تاشفين لما لمسوه فيه من عدل ورغبة في الجهاد ،

شهدت الأندلس منذ سيطرة المرابطين عليها صراعات كثيرة فيما بينهم وبين الممالك الإسبانية بزعامة الفونوس السادس ملك قشتالة . توفي يوسف بن تاشفين سنة (٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) وخلفه ابنه على الذي سار على نهج أبيه في مواصلة جهاد الممالك الأسبانية ، وهكذا تواصل دعم المرابطين للمسلمين في الاندلس ودفاعهم عنها ، فقد احتلت مكانة مميزة في فكر سلاطين المرابطين ، إلى أن أخذت دولتهم تترنح أمام ضربات الموحدين القوية ، الأمر الذي شغلهم عنها بمواجهة هذه القوة الجديدة التي ظهرت في الجنوب الغربي من المغرب الأقصى وأخذت تضغط بشدة عليهم .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

كان لانشغال المرابطين بمواجهة الموحدين أثره السيئ على الاندلس ، فقد استغلت الممالك الأسبانية هذا الوضع خلال الفترة الانتقالية بين عهدي الدولتين وبعد صراع مرير بين المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس طويت صفحة دولة المرابطين ، لتحل محلها دولة الموحدين التي خلقتها في النهوض بأعباء الجهاد في الأندلس (٥٤٠-٦٣٢هـ/١١٤٥-١٢٣٣م).

- الموحدون والعسكري في الأندلس (٥٤٠٦٣٢هـ/ ١١٤٥-١٢٣٣م)

سبق وأن تم دراسة ظهور الدعوة الموحدية في المغرب ثم تأسيس دولتهم بعد زوال دولة المرابطين من المغرب والأندلس .

عبر عبد المؤمن بن علي على الموحدي مضيق جبل طارق الى الاندلس سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) وعسكر في المدينة الجديدة (جبل طارق) حيث أخذ يشرف بنفسه على ترتيب أوضاع الأندلس استعداداً للمعركة القادمة ضد الممالك الإسبانية ، وبعد تكامل الاستعدادات خرج من مراكش على رأس جيش ضخم في سنة (٥٥٨هـ-١١٦٣م) قاصداً الأندلس ولكنه حينما وصل مدينة الرباط توفي ولم يكن في وسع ابنه وخليفته ابو يعقوب يوسف المضي قدما في تنفيذ مشروع أبيه الجهادي قبل الاطمئنان على استقرار الوضع في المغرب .

وبعد وفاة الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ، بدأت فتنه كبرى في الاندلس نزعمها محمد بن سعد بن مردنيش ضد الموحدين بالتعاون مع الممالك الإسبانية لذلك قام ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي بتوجيه جيش إلى الأندلس سنة (٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) للقضاء على هذه الفتنة في معركة فحص الجلاب جنوب مرسيه أسفرت على انتصار الجيش الموحدي ولكن ذلك لم يكن نهاية متاعب الموحدين.

معركة الاراك (٥٩١هـ/١١٩٥م)

اخذ الفونسو الثامن ملك قشتالة يشن الهجمات المتلاحقة على الأندلسيين شرقا وغربا في آن واحد ، وحينما علم المنصور سار بمجموعة ونزل في حصن الأرك على الحدود بين قشتالة وأرض المسلمين والتي أسفرت عن انتصار الجيش الموحدي انتصاراً حاسماً ، وفتح حصن الأرك ، وتكبيد الفونسو الثامن الذي فر إلى طليطلة

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

بخسارة فادحة وقد شبه العديد من المؤرخين هذا الانتصار بانتصار يوسف بن تاشفين على الفونسو السادس في معركة الزلاقة سنة (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) الأمر الذي اضطر الملك القشتالي إلى عقد هدنه مع الخليفة الموحدي لمدة عشر سنوات .

معركة العقاب (٦٠٩هـ/١٢١٢م)

أنتهز الفونسو الثامن فرصة وفاة المنصور الموحدي وما أعقب وفاته من مشاكل في إفريقية وانشغل بها الناصر الخليفة الجديد عن الأندلس ، وأخذ يعد العدة للثار لهزيمته في معركة الأرك ، فحشد قوات كبيرة أخذ يهاجم بها المسلمين ، منذ سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) وقبل انهاء مدة الهدنة التي عقدت بينه وبين الموحدين ولما اشتد ضغطهما على المسلمين توجه الناصر الموحدي بجيش ضخم عبر به الى الاندلس سنة (٦٠٧ هـ/ ١٢١١م) حيث التقى الفريقان في معركة طاحنة في (١٤ صفر ٦٠٩هـ / ١٦ تموز ١٢١٢م) عرفت بمعركة العقاب أسفرت عن هزيمة منكرة للمسلمين ، كان من أهم نتائجها زعزعة مكانه الموحدين في الاندلس ، اذ لم يقوى بعدها على الوقوف في وجه الممالك الأسبانية وردع أعمالهم العدوانية ، بل يمكن القول أن هذه الهزيمة كانت بداية نهاية الوجود الموحدي في الأندلس ، وليس ذلك فحسب ، بل بداية النهاية للدولة الموحدية نفسها ، فنشط الفونسو الثامن في قطف ثمرة انتصاره في هذه المعركة ، وأخذ يهاجم الأندلس بشكل متواصل وبدون مقاومة ، فاستولى على بعض المدن والحصون ، وأما الخليفة الناصر فعاد بعد هذه الهزيمة الى مراكش حيث توفي (٦١٠هـ/ ١٢١٣م) وبدأ نجم الدولة الموحدية بالافول ، فاخذت تسير الا الانحلال بخطى سريعة ، وانشغلت بنفسها على الجبهة الأندلسية.

-المظاهر الحضارية في الاندلس في ظل المرابطين والموحدين :-

واصلت الحركة الحضارية في الأندلس نشاطها في عصري المرابطين والموحدين نتيجة لتشجيع حكام هاتين الدولتين لها ومع أن الأندلس كانت وقتئذ تابعة للمغرب وتدار من قبل حكامه الا انها ظلت تحتفظ بشخصيتها المستقلة والمميزة

وخطت الحياة الفكرية والعلمية في الاندلس خطوات واسعة الى الأمام في هذه العصر ، وظهر الكثير من مشاهير العلماء في كل ميدان من الرجال والنساء على

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

حد سواء ، فمن ابرز من ظهر منهم في عصر المرابطين ، ابن بسام الشنتريني ، صاحب كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) الذي توفي سنة (٥٤٢هـ) وابو محمد عبدالله بن ابراهيم الحجاري ، صاحب كتاب (المسهب في فضائل المغرب) وابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ) صاحب كتاب الصلة والذي بلغت مؤلفاته حوالي الخمسين كتاباً ، وبنو سعيد مؤلفوا كتاب (المغرب في حلى المغرب) ، وأبو بكر ابن قزمان أمير الزجل الأندلسي ، وأبو بكر ابن رشد الجد قاضي الجماعى في قرطبة . وابن باجه الفيلسوف المشهور الذي نبغ في الرياضيات والفلسفة والفلك ، وأمية ابن أبي الصلت الطبيب والفلكي والفيزيائي المعروف ، وعدد من أفراد أسرة ابن زهر الذين برزوا في الأدب والطب وبخاصة الجراحة .

وبرز في العصر الموحدي على سبيل المثال لا الحصر ، أبو محمد بن خير (ت ٥٥٧هـ) صاحب الفهرست المشهور ، وابو الربيع سليمان الكلاعي الأديب الحافظ المحدث ، وأبو الحسن علي ابن جابر الدباج الأديب النحوي ، وابن جبير الرحالة المشهور ، وابن الأبار صاحب كتاب (الحلة السيراء) وابن صاحب الصلاة مؤلف كتاب (المن بالإمامة) وعبد الواحد المراكشي صاحب كتاب (المعجب في تلخيص أخبار النغرب) ، وابن عذاري المؤرخ ، وأبو جعفر بابن الرومية ، الذي اشتهر في علم النبات ، وابن العوام الأشبيلي من علماء الزراعة وله كتاب في الفلاحة ، وابن طفيل الفيلسوف صاحب كتاب (حي بن يقظان) الفلسفي ، وابن رشد الفيلسوف المشهور ، وغيرهم الكثير الامر الذي يؤكد مدى نشاط الحركة العلمية وقتئذ ويؤكد تطورها مما جعلها قادرة على العطاء والذي تلقاه الأوربيون بشغف .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الفصل السادس

الدول الاسلامية في مصر وبلاد الشام

١- الحمدانية

الحمدانيون في الموصل وحلب ٢٩٣هـ – ٣٩٢هـ

اولا : الحمدانيون في الموصل ٢٩٣هـ - ٣٨٠ هـ

اصل الحمدانيين وعلاقتهم بالخلافة العباسية :

ينتسب الحمدانيون الى جدهم أبي العباس حمدان بن حمدون ،وكان بداية ظهور الحمدانيين في عهد الخليفة المعتضد بالله بصورة ثائرين على الدولة العباسية في اقليم الجزيرة ، وجرت بينهم وبين المعتضد حروب عديدة انتهت بأسر حمدان بن حمدون في المحرم من سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م ، وغير ان الخليفة ما لبث ان عفا عنه واطلق سراحه بعد ان انتصر ولده الحسين بن حمدان علي هارون الشاري زعيم الخوارج وحمله الى الخليفة المعتضد الذي أمر بإعدامه في سنة ٢٨٣هـ .

وفي سنة ٢٩٢ هـ أنظم الحمدانيون الى قوات الخليفة المكتفي وشاركوا في الحرب التي دارت بين هذه القوات والطولونيين ، فأبلوا بلاء حسنا في القتال وانتصروا انتصار حاسما على الطولويين.

واستمر الحسين يواصل جهوده لخدمة الخلافة وقمع حركات الخارجين في اطراف الدولة العباسية خلال عهدي المعتضد والمكتفي (٢٨٣-٢٩٤هـ) ، وقد كافأه الخليفة المكتفي فعين اخاه ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل وأعمالها في أواخر سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٥م ، وولي ابراهيم ديار ربيعة سنة ٣٠٧هـ ، كما قلد سعيدا حكم نهاوند في سنة ٣١٢هـ ، واسند بعض المناصب الى غيرهم من بني حمدان .

ورحل أبو الهيجاء الى الموصل فوصلها في المحرم من سنة ٢٩٣هـ ، فكان ذلك بداية حكم الحمدانيين هناك ثم اوكل اليه حكم ديار ربيعة ، ونصيبين ، وسنجار والخابور ورأس العين ، وميافارقين وأرزن ، على ان يحملوا الى الخلافة مال معلوم في كل عام على سبيل الضمان .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وبذل الحمدانيون في اقليم الجزيرة جهودا كبيرا في القضاء على حركات الخوارج ضد الخلافة العباسية .

ولم يقتصر دور الحمدانيين في هذه المرحلة من تاريخهم بالقضاء على الخوارج والحركات المناوئة للخلافة ، بل لعبوا دورا بارزا في التصدري لخطر الروم المتزايد على حدود الدولة الاسلامية ومحاولاتهم المستمرة للاستيلاء على بلاد الشام .

وفي سنة ٣٣٤هـ دخل البويهيون بغداد ، فنشبت بينهم وبين الحمدانيين عدة معارك ، وادرك ناصر الدولة انه لا يقوى على الوقوف في وجه البويهيين ، فراسلهم في الصلح في المحرم من سنة ٣٣٥هـ مقابل مبالغ يدفعها ضمانا عن البلدان التي تخضع لسيطرته .

ولم تستقر العلاقات بين الحمدانين والبويهيين ، حيث عقد الصلح بينهما على شروط لاكثر من لكنه لم يستمر وبقى هذا الحال الى وفاة ابي تغلب بن ناصر الدولة سنة ٣٦٩هـ.

وتعتبر وفاته نهاية لحكم الحمدانيين في أقليم الجزيرة والموصل فقد تفرق افراد هذه الاسرة ودخل بعضهم في طاعة بني بويه فيما دخل البعض الآخر في طاعة العزيز الفاطمي ، واستولى عضد الدولة البويهي على الموصل وأعمالها الا ان الحمدانيين ما لبثوا ان استعادوا نفوذهم في الموصل واستمروا بالسيطرة عليها الى سنة ٣٧٩ هـ ، حيث تمكن العقيليون من فرض نفوذهم على الموصل.

الحمدانيون في حلب

قيام الامارة الحمدانية في حلب :

يرجع الفضل في تأسيس الامارة الحمدانية في حلب الى سيف الدولة ابي الحسن علي بن ابي الهيجاء عبد الله بن حمدان.

والواقع ان الظروف السياسية في بلاد الشام في تلك المرحلة هيأت لسيف الدولة فرضة تحقيق اهدافه وطموحاته ، بسبب ضعف سلطة الوالي الاخشيدي.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

فدخل سيف الدولة حلب في ربيع الاول سنة ٣٣٣هـ . وخطب للخليفة المستكفي بالله ولأخيه ناصر لدولة ولنفسه .

ثم بعد ذلك الى حمص ، والتقى بجيش الاخشيديين بقيادة كافور في موضع الرستن بالقرب من حمص في اواخر سنة ٣٣٣هـ ، فنجح في احراز النصر على الاخشيديين.

ثم واصل زحفه نحو دمشق فدخلها في السنة نفسها ، الا ان الاخشيد ما لبث أن أرغمه على الرحيل عنها ودارت الحرب بينه وبين سيف الدولة في شوال من السنة المذكورة فانهزم الاخير وتراجع الى الرقة ، ، ويبدو ان الاخشيد كان يميل الى وضع حد للنزاع بينه وبين سيف الدولة فراسله في الصلح وعقد معه اتفاقا في ربيع الاول من سنة ٣٣٤هـ ، غير ان الاخشيد لم يلبث ان ادركته الوفاة بدمشق في ذي الحجه من سنة ٣٣٤هـ .

انتهز سيف الدولة وفاة الاخشيد فدخل دمشق ثم واصل زحفه نحو مصر نفسها ، فخرج كافور الذي كان يتولى تدبير الامور لولي عهد الاخشيد لقتاله والتقى به بالرملة فانهزم سيف الدولة وتراجع الى الشام .

استقر سيف الدولة الحمداني بحلب ، وارسل الاخشيديين وعقد معهم صلحا جديد . كما حصل على اعتراف الخلافة العباسية بحكمه على حلب وما جاورها من مدن الشام الشمالية .

انصرف سيف الدولة الحمداني بعد ابرامه للصلح مع الاخشيديين سنة ٣٣٦هـ الى توطيد نفوذه وفرض سيادته على شمالي الشام ، فاهتم بتعزيز وسائل الدفاع ، كما مد سيطرته على السواحل ذات الاهمية الاقتصادية والعسكرية ، واخضع بعض القبائل العربية التي اعلنت الثورة ضده ، وقضى على حركات القرامطة ، فاكتسب بذلك رضا الخلافة العباسية التي اعترفت بحكمه اعترافا رسميا ومنحته تأييدها تقدير للدور الذي يلعبه في الدفاع عن حدود الدولة العربية الاسلامية ضد هجمات الروم ومحاربة الحركات المناهضة للعباسيين في الداخل .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

غير ان المرض لم يلبث ان داهم سيف الدولة الحمداني ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل يواصل حروبه ضد الروم حتى ٣٥٢هـ حيث أقعده المرض ، وتوفي عام ٣٥٦هـ.

ثم دخلت الدولة الحمدانية في حلب بمرحلة الصراع والمنافسة من الامراء أنفسهم للاستحواذ على السلطة هذا من جهة وكان هناك تطلع الخلافة الفاطمية للسيطرة على حلب من جهة أخرى واستمر هذا الحال الى ان بدأ الضعف يظهر واضحا في كيان الامارة الحمدانية خلال عهد سعيد الدولة ،الذي تولى شؤون الدولة سنة ٣٨١ هـ بعد وفاة والده سعد الدولة حيث واجه عدة أخطار خارجية وداخلية أدت الى اضمحلال هذه الامارة ومن ثم زوال نفوذها من بلاد الشام ، وفي مقدمة تلك الاخطار تهديد الخلافة الفاطمية المستمر وحملاتهما المتكررة على الشام من جهة وضغط الروم البيزنطيين من جهة أخرى ، بالاضافة الى ما كان يعانيه الحمدانيين من استبداد المتسلطين واستئثارهم بالسلطة . الى أن تمكنت الخلافة الفاطمية من السيطرة على حلب ، وحكمها صالح بن مرداس بالنيابة عنهم عام ٤١٤ هـ ، وبذلك يكون قد انتهى حكم الحمدانيون في حلب.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

١.احمد بن طولون .

٢.خمارويه بن احمد بن طولون.

٣.جيش بن خسارويه بن احمد بن طولون.

٤.هارون بن خكارويه

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٢- الدولة الطولونية في مصر والشام : (**٢٥٤-٢٩٢هـ = ٨٦٨-٩٠٥م**)

ان الاتراك سيطروا على الخلافة العباسية منذ عهد المعتصم وان نفوذهم لم يقتصر على العاصمة فحسب بل تعداها إلى الولايات الاسلامية الاخرى بما في ذلك مصر.

ولقد جرت العادة أن تمنح ولاية مصر اقطاعا لهؤلاء الولاة الاتراك الذين كانوا يرسلون، من ينوب عنهم في حكم مصر .

ومن هؤلاء النواب الأتراك الذين حكموا مصر ، نذكر أحمد بن طولون

وهكذا اتيحت الفرصة لأحمد بن طولون كي يقيم في مصر دولة مستقلة ولم يكن يربطه بألخلافه سوى بعض المظاهر الشكلية التي أشرنا اليها آنفا وهي :

الدعاء للخليفة في الخطبة يوم الجمعة .و نقش اسم الخليفة على السكة(النقود) . وارسال جزء من الخراج (الدخل) لدار الخلافة .

ولم يقتصر سلطان ابن طولون على مصر وحدها بل امتد نفوذه إلى بلاد الشام شمالا وإلى ليبيا غربا ، ان احمد بن طولون لم يكف عن ارسال الاموال والهدايا الى كبار رجال الجيش والدولة في بغداد ، وهذا من غير شك قوى من مركزة هناك .

اهم اعمال احمد بن بولون:

١ : بناء جيش للدولة :

اعد احمد بن طولون جيشا قويا اعتمد عليه في تنفيذ مشاريعه السياسية والحربية . وقد بلغ من ضخامة هذا الجيش ان احمد بن طولون بني لهؤلاء الجنود ثكنات جديدة وهي مدينة القطائع شمالي الفساط .

٢- : مدينة القطائع :

أسس ابن طولون هذه المدينة في سنة ٢٥٦هـ (٨٧٠م)، وبني فيها قصرا ضخما جعل أمامه ميدانا فسيحا ليستعرض فيه جيوشه، ثم اختط حول القصر ثكنات جنوده وحاشيته ، وجعل لكل فئة من جنوده قطعة خاصة بها : فالجنود السودان لهم قطعة، وللجنود الترك قطعة ، وللروم قطعة ، .... وهكذا . ولذا سميت بالقطائع ، ولقد شيد بن طولون في الجهة الشرقية من القطائع قناطر للمياه ولا تزال بعض عقودها قائمة.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٣- جامع ابن طولون

بني احمد بن طولون بجوار القصر مسجده المعروف باسمه حتى اليوم . وقد انتهى من بنائه في سنة ٢٦٥هـ(٨٧٩م) كما هو واضح من لوحة حجرية لا زالت مثبتة على احدى دعامات المسجد ومنقوشة بالخط الكوفي .ولم يبق من مدينة القطائع سوى جامع ابن طولون الذي بني وقف اصول الفن العراقي.

ومن الأساليب الفنية العباسية . ويلاحظ ذلك في سلم المئذنة الخارجي الذي يلتف حولها بشكل دائري ، وهو يشبه في ذلك مئذنة المسجد الجامع بمدينة سامرا المشهورة باسم المنارة الملوية .

ولقد جعل ابن طولون في هذا الجامع خزانة بها بعض الادوية والاشربة التي قد يحتاج اليها المصلون . كما عين لهذا الجامع طبيبا خاصا لاسعاف المصلين في الحالات الطارئة فهو بمثابة طبيب اسعاف .

٤- المارستان او البيمارستان :

وهي كلمة فارسية بمعنى المستشفى . وقد بناه ابن طولون لمعالجة المرضى على اختلاف حالاتهم ، والحق به صيدلية لصرف الادوية . فاذا دخل المريض هذا المستشفى ، وكان ابن طولون يطوف بأنحاء المستشفى اسبوعيا ويتفقد الادوية واعمال الاطباء ويشرف على المرضى .

٥- الاعمال الدفاعية والأسطول :

حصن ثغور مملكته في الشام ومصر مثل عكا ويافا ودمياط والاسكندرية . وكذلك بنى حصنا قويا في جزيرة الروضة وزوده بجميع الاسلحة والذخائر للاحتماء به وقت الخطر .

٦-حاول احمد بن دولون نقل الخلافة الى مصر على أثر الخلاف الذي وقع بين الخليفة المعتمد وبين أخيه وولي عهد الموقف الا أنه لم ينجح في ذلك الامر.

٧- تقرب احمد بن طولون من الامويين في الاندلس فوطد علاقته بهم .

وان عددا من علماء الاندلس رحلوا إلى مصر فرحب بهم ابن طولون وعين بعضهم في مراكز الدولة الهامة ، والغرباء من أهل المغرب والأندلس في مصر كاوا يسكنون

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

في جامع ابن طولون ويدرسون فيه وجرى عليهم الأرزاق في كل شهر ، وجعل أحكامهم اليهم.

خلف احمد بن طولون في ولاية مصر والشام ابنه خمارويه (٢٧٠-٢٨٢هـ) وامتد حكمه اثني عشرة سنة . لم يكن خمارويه رجل حرب بل كان شابا مترفا يميل إلى حياة السلم والرخاء ، ولهذا كادت الشام تضيع من ملكه في أوائل عهده .

الا أن الظروف ساعدت خمارويه بتوطيد سلطاته ، فأهتم بمدينة القطائع وصرف عليها أموالا كثيرة ، وحول الميدان الذي امام القصر الى بستان جميل ،وجعل جزءاً منه حديقة للحيوانات والطيور المختلفة توفي خمارويه قتيلا سنة ٢٨٢هـ ،وهو في طريقه الى الشام .

- **نهاية الامارة الطولونية**

كان مصرع خمارويه في الواقع بداية تفكك الامارة الطولونية واضمحلالها ، فقد أصبحت مصر مسرحاً لاحداث داخلية دامية عصفت بوحدة الاسرة الطولونية وعجلت بزوال نفوذها ، فقد توالى على الحكم اولاد خمارويه الذين لم يكن يتجاوز الواحد منهم الرابعة عشرة من عمره .

وخلف خمارويه ولده ابو العساكر جيش كان صبيا وتنكر لكبار رجال دولته ، فثار عليه الجند وطالبوه بالتنازل عن الحكم ، فتارت ثائرته وأقدم على قتل أثنين من أعمامه كانا محبوسين عنده ،ورمى برأسيهما الى الجند ، فثار الجند وهجموا على ابي العساكر جيش وقتلوه ونهبوا داره واحرقوها وولوا اخاه هارون خمارويه في الحكم.

وكان هارون هذا صبيا ايضا لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، فنصب قادة الجيش من بينهم وصيا عليه هو ابو جعفر محمد بن ابي وكان من كبار رجال ابن طولون .وهكذا تركزت السلطة الفعلية بأيدي قادة الجيش الذين اصبح كل واحد منهم يسيطر على فريق من الجيش ويخضع له خضوعاً تاماً.

وفي سنة ٢٨٨ هـ توفي الخليفة المعتضد بالله وبويع بالخلافة بعده ولده ابو محمد ولقبه بالمكتفى بالله ، الذي تدهورت العلاقات مع الطولونيين في عهده فأرسل جيشا الى مصر ، فتقدم الى حمص ، فخرج اليه والي الشام من قبل هارون واعلن

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

طاعته وخضوعه . ثم واصل الجيش العباسي زحفه الى فلسطين فاطاعه اميرها ايضا ، فلما وصلت هذه الاخبار الى هارون استعد لمواجهة الموقف ، وانقذ اسطوله ليتصدى للاسطول العباسي ، الا أنه أنهزم واستولى العباسيون على تنيس ودمياط ،وتقدمت سفنهم في النيل متجهة الى الفسطاط فوقع الخلاف بين الجند وأضطرب الموقف في مصر ، وانتهز اعداء هارون تدهور الموقف ،وادرك هو ضعف مركزه وعجزه عن الوقوف في وجه العباسيين الذين اشرفوا على دخول الفسطاط ، فلم يجد بدأ من التسليم وأرسل الى قائد الجيش العباسي محد بن سليمان الكاتب يطلب الامان لنفسه واخوته واهله ،ودخل محمد ين سليمان الفسطاط في ربيع الاول سنة ٢٩٢ هـ وأمر بأحراق القطائع فأحرقت ، ودعى على المنابر للخليفة المكتفي بالله وحده ، وسقطت بذلك الامارة الطولونية بعد حكم استمر ثمانية وثلاثون سنة.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الامراء الاخشيديون

١.محمد بن طغج الاخشيد.

٢.أبو القاسم أنوجور بن محمد.

٣.أبو الحسن علي بن محمد.

٤.كافور ابو المسك.

٥.ابو الفوارس احمد بن علي بن محمد.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٣- الدولة الاخشيدية :(**٣٢٣-٣٥٨هـ = ٩٣٥- ٩٦٩م**)

مؤسس هذه الدولة هو محمد بن طغج بن جف الملقب بالإخشيد .

كان محمد الاخشيد من المعجبين بشخصية سلفه احمد بن طولون لدرجة انه كان كثيرا ما يتشبه به في بلاطه ومواكبه وتصرفاته وأعماله .وقد نتج عن ذلك وجود تشابه بين الدولتين الاخشيدية والطولونية في بعض المظاهر التاريخية والسياسية بوجه عام .

سياسة الاخشيد في الشام :

بعد أن وطد الاخشيد نفوذه في مصر أخذ يفكر في تأمين حدود الشمالية وذلك بالاستيلاء على الشام ، وهذه السياسة تعتبر سياسة تقليدية سعى اليها كل حاكم استقل بمصر . ويبدو أن الخليفة العباسي كان على علم بنوايا الاخشيد وأطماعه ، ولهذا سارع بتولية احد قواده وهو محمد بن رائق على جنوب الشام . اما شمال الشام فقد استولى عليه الامراء الحمدانيون أصحاب الموصل وشمال الجزيرة . وصارت عاصمتهم مدينة حلب ، ولهذا نجد ان الاخشيد قضى معظم حياته في صراع مع صاحبي الشام ابن رائق في الجنوب وسيف الدولة الحمداني في الشمال .

الا أنه في سنة ٣٣٠ هـ قتل الحمدانيون ابن رائق ، فانتهز الاخشيد هذه الفرصة واستولى على الشام بدون مقاومة وواصل تقدمة شمالا حتى اصطدم بالدولة الحمدانية .

وهجم عليه بجيوشه وهزمه ثم انتصر عليهما انتصارا ساحقا في وقعة قنسرين في سوريا الشمالية ودخل مدينة حلب واسترد دمشق ، ولكنه رغم ذلك آثر أن يتنازل عن حلب وشمال الشام لسيف الدولة الحمداني حبا في مسالمته .

وقد علل بعض المؤرخين ذلك بأن الاخشيد كان قد بلغ في ذلك الوقت السادسة والستين من عمره وكان يخشى أن يموت فيستولي الحمدانيون على أملاكه ولهذا آثر الارتباط معهم بمعاهدة يحفظ فيها ملكه لأولاده من بعده . يضاف إلى ذلك أن الاخشيد كان يعلم تماما بأن من يتولى حكم شمال الشام يتعين عليه محاربة البيزنطيين والدفاع عن الثغور الاسلامية الشامية ، ولهذا رأى ان بقاء الدولة

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الحمدانية معناه حماية الثغور الاسلامية بل وحماية ممتلكاته الشامية من غارات البيزنطيين ، بينما يستطيع هو أن يتفرغ للأخطار الاخرى المحيطة به .

وانتهى هذا الصلح بأن يكون للإخشيد ولاية دمشق وما يليها جنوبا ، ولسيف الدولة الحمداني البلاد الشمالية من حمص إلى حلب . وختمت هذه المعاهدة بزواج سيف الدولة من ابنة أخي الاخشيد ، فتوثقت روابط الصداقة بين الدولتين سنة ٣٣٣هـ .

محاولة نقل الخلافة العباسية إلى مصر :

حاول محمد الاخشيد نفس المحاولة التي قام بها احمد بن طولون من قبل ، وهي نقل الخلافة العباسية إلى مصر لتكون تحت حمايته ، وكانت محاولة الاخشيد هذه في سنة ٣٣٣هـ. ولا شك ان الاخشيد أراد من وراء نقل الخلافة العباسية إلى مصر أن يقوي دولته التي أسسها بمصر والشام، الا أن مسعاه لم ينجح .

وهكذا فشل مشروع نقل الخلافة إلى مصر للمرة الثانية وبقي هذا المشروع معطلا إلى ان حققه فيما بعد السلطان المملوكي الظاهر بيبريس سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م) .

ابو المسك كافور الاخشيدي :(**٣٣٤-٣٥٧هـ = ٩٤٦- ٩٦٨م**)

كان كافور ذكيا طموحا مخلصا في عمله . اشتراه الاخشيد وجعله ضمن خدمه ثم عكف كافور على الدراسة وتحصيل العلوم المختلفة حتى بلغ في ذلك مرتبه كبيرة أهلته لكي يكون مربيا لولدي الاخشيد وان يلقب بلقب استاذ. والى جانب هذه الثقافة العلمية امتاز كافور أيضا بتفانيه في خدمة سيده حتى صار موضع ثقته ومن أقرب المقربين اليه ، فأسند اليه الاخشيد قيادة جيوشه ثم عهد اليه بالوصية على أبنائه كما بينا .

حكم كافور في بادئ الامر مده ٢٢ سنة كوصي على ولدي الاخشيد : اوتوجور الذي مات في سنة٣٤٩هـ، وعلي بن الاخشيد الذي مات سنة ٣٥٥هـ ثم حكم كافور بعد ذلك كوالي رسمي على مصر باعتراف الخلافة العباسية ، مدة سنتين ونصف انتهت بوفاته .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

سياسته الخارجية :

كانت أعمال كافور الخارجية تهدف كلها إلى تأمين حدود بلاده : ففي الشمال حارب الحمدانيين وانتهب هذه الحرب بمعاهدة صلح احتفظت فيها مصر بجنوب الشام بينما بقي الحمدانيون في شمالها كما كان الحال في عهد الاخشيد .

كذلك حارب كافور القرامطة الذين أغاروا على جنوب الشام وهددوا قوافل التجارة والحجاج المتجهة إلى الحجاز . وانتهت هذه الحروب بالصلح أيضا .

وفي الجنوب حارب كافور امراء النوبة الذين تكررت غاراتهم على اسوان وغيرها ، وانتهب هذه الحرب بخضوعهم وتقديم الجزية والرقيق الى مصر كل سنة . وقد نتج عن ذلك كثرة الجنود السود في الجيش الاخشيدي . وفي نفس الوقت عامل رسل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي باللطف واللين.

وكان يهادي المعز لدين الله الفاطمي صاحب المغرب ويظهر ميله اليه ، وفي الوقت نفسة يذعن بالطاعة لبني العباس .

٤- الدولة الفاطمية (٢٦٧هـ -٥٦٧هـ)

سبق وأن تحدثنا عن نشأة وظهور الخلافة الفاطمية في موضوع ابرز خلفاء المغرب ، حيث تناولنا الموضوع منذ بداية ظهور الدعوة الفاطمية الى أن انتقل عبيد الله المهدي الى مدينته المهدية والتي انتقل اليها سنة ٣٠٨هـ، ثم أمر بعد ذلك ببناء مدينة اخرى بجوار المهدية سماها زويلة.

لقد أدرك الفاطميون ان بلاد المغرب لا تصلح لان تكون قاعدة لدولتهم بسبب ضعف مواردها الاقتصادية وكونها مسرحا للفتن والاضطرابات لذلك فكروا في السيطرة على مصر بسبب موقعها الجغرافي القريب من المشرق وكثرة ثرواتها ، كما أنها تصلح لان تكون قاعدة لتوجيها لحملات ضد الخلافة العباسية .

وبدأ الخليفة الفاطمي الاول في وضع الترتيبات واعداد الخطط للسيطرة على مصر ، فوجه أولى حملاته عليها في سنة ٣٠١هـ. فأعد الخليفة المهدي في العام التالي أي سنة ٣٠٢هـ حملة جديدة.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

ثم استأنف الفاطميون حملاتهم على مصر في سنة ٣٠٦ هـ وبعد فشل هذه المحاولة توقفت الحملات فترة امتدت الى سنة ٣٢١هـ أواخر عهد الخليفة المهدي ، حيث قدمت الى مصر في تلك السنة حملة فاطمية ، واستمرت الى سنة ٣٢٢هـ ثم أرغمت على الانسحاب الى المغرب. وكان المهدي قد توفي في سنة٣٢٢هـ واستقرت الامور لولده ابو القاسم ببلاد المغرب . وتلقب بالخليفة القائم. وحذا حذو والده في سياسته الرامية الى ضم مصر ، فسير الجيوش في أواخر سنة ٣٢٣هـ فدخلت الاسكندرية في أوائل سنة ٣٢٤هـ الا ان الاخشيد تمكن من ابعادها وارغامها الى العودة الى المغرب .

وتوقفت حملات الفاطميين على مصر من خلال حكم المنصور الذي آلت اليه الخلافة بعد وفاة أبيه القائم سنة ٣٣٤هـ وذلك بسبب انصرافه الى اقرار الامور في بلاد المغرب غير أن محاولات الفاطميين للاستيلاء على مصر ما لبثت أن استأنفت خلال عهد المعز لدين الله الذي تولى الخلافة في سنة ٣٤١هـ. حيث ان الظروف السياسية في مصر لم تلبث أن حققت للفاطميين أهدافهم وذلك بعد وفاة كافور في سنة ٣٥٧هـ وما تبع ذلك من تدهور خطير في أوضاع مصر الاقتصادية وانتشار الفوضى والاضطرابات في معظم أنحائها .

وقد حشد الفاطميون قوات كبيرة في هذه الحملة التي تولى قيادتها جوهر الصقلي. وواصل تقدمه نحو مصر فدخل الاسكندرية واعطى للمصريين كتاب امان على انفسهم واملاكهم.

انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر :

شرع جوهر الصقلي في بناء مدينة جديدة تكون مقرا للخلافة الفاطمية فوضع أساس هذه المدينة في ١٧ شعبان سنة ٣٥٨هـ ، ووضع في اليوم التالي اساس القصر الكبير ثم أقام حول المدينة والقصر سورا كبيرا . واختطت كل قبيلة من القبائل المغربية التي جاءت معه مكانا لها عرف باسمها ، وأطلق جوهر على مدينة هذه اسم المنصورية تقربا الى الخليفة المعز بإحياء ذكرى والده المنصور ، وظلت تعرف

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

بهذا الاسم حتى قدم المعز لدين الله الى مصر بعد أربع سنوات فسماها القاهرة تفاؤلا بأنها ستقهر الاعداء.

وشرع جوهر أيضا ببناء الجامع الازهر في اليوم الرابع من شهر رمضان سنة ٣٥٩ هـ ، وتم بناؤه في سنتين تقريبا . وكان هذا الجامع قد سمى في بادئ الامر بجامع القاهرة ، اما تسميته بالجامع الازهر فيظهر أنها اطلقت عليه بعد أنشاء القصور الفاطمية التي كان يطلق عليها اسم القصور الزاهرة .

وبدأ جوهر في اتخا١ الخطوات لجعل القاهرة حاضرة للخلافة الفاطمية فأمر بايقاف الدعوة للخلفاء العباسيين واقامها للمعز الفاطمي وضرب السكة باسمه ثم كتب اليه يستدعيه للحضور الى مصر لتولى الامور بنفسه بعد أن توطدت دعائم الحكم الفاطمي هناك ، فخرج المعز الى مصر في شوال سنة ٣٦١هـ بعد أن استخلف يوسف الصنهاجي على المغرب . ودخل الاسكندرية في شعبان من سنة ٣٦٢هـ فخرج لاستقباله أعيان البلاد وفي مقدمتهم قاضي مصر ، ثم تابع سيره الى القاهرة فوصلها في يوم الثلاثاء السابع من رمضان سنة ٣٦٢هـ ونزل في القصر الذي بناه له قائده جوهر الصقلي . وأصبحت مصر بعد قدوم المعز لدين الله الفاطمي دار خلافة .

امتداد الخلافة الفاطمية الى بلاد الشام والعراق الحجاز :

تطلع الفاطميون الى ضمم بلاد الشام بعد أن تم لهم السيطرة على مصر وهو أمر تقتضيه الضرورة السياسية والعسكرية لكي يضمنوا تأمين حدود مصر في الشمال الشرقي.

وقد بادر جوهر الصقلي الى انفاذ جيش كبير الى الشام أسند قيادته الى جعفر بن فلاح الكتامي في أواخر سنة ٣٥٨هـ.

فتقدم الى طبرية بعد استيلائه على الرملة فدخلها دون أي مقاومة تذكر من أهلها ، ثم تابع تقدمه الى دمشق فتمكن من الاستيلاء عليها بعد قتال شديد وأقام الخطبة للمعز الفاطمي في أوائل المحرم من سنة ٣٥٩هـ .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وعلى الرغم من الثورات التي أشعلها أهل دمشق ضد الفاطميين خلال عام ٣٥٩هـ ،٣٦٩ هـ فان جعفر بن فلاح استطاع أن يوطد نفوذه في دمشق باستعمال القوة ضد اهلها ، واقيمت الدعوة للفاطميين في حلب في شهر ربيع الاول من سنة ٣٦٠هـ .

وعلى أن الفاطميين لم يلبثوا أن واجهوا في بلاد الشام خطرا قرامطة البحرين الذي هدد حكمهم في تلك البلاد ، ونجح القرامطة في هزيمة الفاطميين وقتل جعفر بن فلاح مع عدد من أصحابه في سنة ٣٦٠هـ، واستولوا القرامطة على دمشق ، وأقاموا الدعوة للخليفة العباسي .

وواصل القرامطة بعد ذلك زحفهم فاستولوا على الرملة ويافا ، ولم يلبثوا أن قضوا على نفوذ الفاطميين في كل بلاد الشام ولم يبق أمامهم سوى الزحف نحو مصر نفسها ، فاستعد جوهر الصقلي لمواجهتهم وحصن القاهرة بخندق عظيم حولها ، ودارت الحرب بين الفريقين في مستهل ربيع الاول من سنة ٣٦١هـ وانتهت بهزيمة القرامطة فانسحبوا الى بلاد الشام.

وبذلك تخلص الفاطميون من تهديد القرامطة لمصر . وبقي خطرهم ماثلا في بلاد الشام الامر الذي دفع المعز الى الاستعانة بيني الجراح بفلسطين كماقرب اليه الأمير ظالم بن موهوب العقلي وأسند اليه المعز ولاية دمشق في رمضان من سنة ٣٦٣ هـ فقبض العقلي على والى دمشق أبو النجا القرمطي وولده . وتم للفاطميين استعادة نفوذهم على بلاد الشام .

أما عن النفوذ الفاطمي في العراق فقد ساعدت الظروف التي كانت تمر بها الخلافة العباسية في بغداد على تغلغل نفوذ الفاطميين واقامة الدعوة باسمهم لمدة قصيرة ، فقد أدى خروج القائد التركي البساسيري على طاعة الخليفة العباسي الى انجيازه الى الفاطميين واتصاله بالخليفة المستنصر بالله الفاطمي الذي أعلت تأييده للبساسيري وأرسل اليه بالمال والخيل والسلاح والهدايا ، وتبودلت المراسلات بين البساسيري وداعي الدعاة الفاطمي المؤيد في الدين هبه الله الشيرازي الذي كان حينذاك مقيما في القاهرة .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وتم الاتفاق على ان يسير المؤيد في الدين الداعي الفاطمي لنجده البساسيري ، فخرج مع فئة قليلة من الرجال وحمل معه الاموال والسلاح والخلع ، فوصل الى ، الرحبة وعمل من هناك على استمالة أمراء العرب في العراق لضمان نجاح حركته ضد الخلافة العباسية والسلاجقة في بغداد . والواقع ان المؤيد هذا استغل فرصة الخلاف بين ابراهيم ينال واخيه السلطان طغرلبك وعمل على كسب ود ابراهيم ، فأرسل الاخير يطلب الخلع والالقاب والاموال من الخليفة الفاطمي وتعهد بأنه سيجعل الخطبة للفاطميين فشجعه المؤيد في حركته ضد أخيه طغرلبك وتعهد له بتلبية طلباته فرحل ينال عن الموصل الى بلاد الجبل سنة ٤٥٠هـ معلنا العصيان على السلطان طغرلبك .

وانتهز المؤيد فرصة رحيل السلطان طغرلبك عن بغداد وخلوها من العساكر فزحف نحوها على رأس اربعمائة فارس حاملا الرايات المستنصرية . وانضم اليه الامير قريش بن بدران العقلي في مائتي فارس. وتمكنا من الاستيلاء على بغداد من الثامن من شهر ذي القعدة سنة ٤٥٠هـ واضطر الخليفة العباسي القائم بأمر الله الى طلب الامان من الامير قريش بن بدران ، فأجابه الى ذلك وبعث به مع ابن عمه الى حديثة عانه . وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله في جميع المساجد ببغداد . غير أن نفوذ الفاطميين لم يستمر طويلا ، فقد تمكن طغرلبك من القضاء على حركة أخيه ينال وقتله وتفرغ لمواجهة حركة البساسيري ، وأدرك الاخير انه لاقبل له في مواجهة السلاجقة خصوصا وأنه لم يتلق أي مساعدة من مصر تساعده على مقاومة السلطان طغرلبك ، فرحل عند بغداد قاصدا الكوفة في السادس من ذي القعدة من سنة ٤٥١هـ ، واعيد الخليفة القائم بأمر الله الى بغداد وعهد طغرلبك الى أحد قوادة بالقضاء على البساسيري الذي كان معسكرا في الكوفة ، ولم يكتف بذلك بل سار بنفسه لقتال . ودارت معركة عنيفة بين الفريقين في منتصف ذي الحجة من سنة ٤٥١هـ انتهت بمقتل البساسيري ، وقضى بذلك على آخر أمل للفاطميين في العراق.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

أما عن النفوذ الفاطمي في بلاد الحجاز ، فالواقعان الفاطميين كانوا قد حرصوا على أن يكون لهم الخطبة في الحرمين ليدعموا بذلك مركزهم على اعتبار أن الحجاز قبلة المسلمين جميعا . وكان أمير مكة قد أعلن الخطبة للمعز الفاطمي في سنة ٣٥٨هـ.

على أن الخطبة للفاطميين في الحجاز ما لبثت أن قطعت في أواخر عهد المعز وأوائل حكم العزيز بالله

ضعف الخلافة الفاطمية :

بدأ الضعف والانهيار يظهر على الخلافة الفاطمية بسبب عوامل خارجية وداخلية أثرت في كيان الدولة وعجلت بنهايتها ، من هذه العوامل:

١- التنافس بين عناصر الجيش الفاطمي الذي أسهم في تدهور حالة مصر الاقتصادية . بسبب محاولتهم الاستبداد بالسلطة لتحقيق اطماعهم الشخصية ، ومما زاد في سوء الحالة الاقتصادية المجاعة التي بدأت بانخفاض النيل سنة ٤٥٧ هـ واستمرت سبع سنوات ارتفعت خلالها الاستعار ارتفاعا كبيرا وانعدمت الاقوات في البلاد حتى اضطر اصحاب النفوذ والاعيان الى مغادرة مصر الى الشام والعراق .

٢-أما العامل الاخر الذي أسهم في أضعاف الخلافة الفاطمية فهو ازدياد سلطة الوزراء واستئثارهم بالسلطة دون الخليفة .

٣-شهد العصر الفاطمي الاخير صراعا شديدا بين رجال الدولة حول الوزارة واندلعت الحروب والفتن بين الطامعين في هذا المنصب ، ثم ازداد الامر خطورة حين تطلع هؤلاء الى الاستعانة بالقوى المجاورة التي تحركت هي الاخرى لغرض سيطرتها على مصر .

وبوفاة الخليفة القاطمي العاضد سنة ٥٦٧هـ ، انتهى النفوذ الفاطمي في مصر بعد حكم دام قرابة قرنين من الزمن .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

قائمة السلاطين

١. الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب.
٢. العزيز عماد الدين أبو الفتوح عثمان بن صلاح الدين.
٣. المنصور ناصر الدين محمد بن العزيز.
٤. العادل سيف الدين أبو بكر أحمد بن أيوب.
٥. الكامل ناصر الدين محمد بن العادل.
٦. العادل سيف الدين أبو بكر بن الكامل.
٧. الصالح نم الدين أبو الفتح أيوب بن الكامل.
٨. المعظم توران شاه بن نجم الدين.
٩. عصمة الدين أم خليل شجر الدر.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٥-الايوبية:

التحق نجم الدين ايوب واخوه أسد الدين شيركوه بخدمة عماد الدين زنكي سنة ٥٣٢هـ /١١٣٧ الذي رحب بهما ، واستناب نجم الدين ايوب على حلب سنة٥٣٤هـ وبقي نائباً عليها حتى مقتل عماد الدين سنة ٥٤١هـ/١١٤٦.

اما أسد الدين شيركوه ، فقد بقي في خدمة نور الدين محمود بن زنكي الذي ورث عن أبيه أملاكه في الشام فاقطعه حمص وأسند إليه قيادة الجيش.

وكان لشيركوه وأخيه نجم الدين الطولي في ضم مدينة دمشق الى سلطان الزنكيين سنة ٥٤٩هـ ،وتسلم بعلبك سنة ٥٥٠هـ فتعززت مكانة الأخوين عند نور الدين الذي أقطع أسد الدين شيركوه الرحبة ،وولى نجم الدين اليد الطولى على دمشق وولى صلاح الدين يوسف شحنة المدينة (شرطتها) وأقام صلاح الدين مدة في دمشق ثم التحق بحلب وصار من خواص الملك العادل نور الدين.

وكانت الفوضى قد عمت مصر في ذلك الحين وبلغت اوجها في عهد الخليفة العاضد لدين الله وتسلط أصحاب الوزارة على الحكم وتنافس كبار رجال الدولة على هذا المنصب ، وما نجم عنه من فتن ودسائس، قد اطمع هذا الوضع الصليبيين في مصر فوجهوا اهتمامهم إليها وراحوا يتحينون الفرص لغزوها ،ولم يكن يمنعهم عنها سوى خشيتهم من نور الدين الذي كان يترصد تحركاتهم.

حين أرسل العاضد الى نور الدين يستغيث به ويعرض عليه إرسال شيركوه على حملة لتخليصه من شاور والصليبيين ،واستجاب نور الدين الى طلب العاضد ، وقد قر رأيه على توحيد البلاد كلها في وجه الصليبيين ،وأمر شيركوه أن يتجهز للمسير الى مصر وبذل له الاموال الوفيرة وأمر صلاح الدين بأن يخرج مع عمه ، ودخل شيركوه القاهرة في ١٧ سنة ٥٦٤ هـ ،واستقبل المصريون الحملة النورية بالترحاب واستوزر العاضد شيركوه بعد مقتل شاور ولقبه الملك المنصور.

توفي شيركوه سنة ٥٦٤هـ بعد شهرين من توليه الوزارة ، فتولى صلاح الدين يوسف ابن نجم الدين ايوب الوزارة مكانه بتكليف من الخليفة العاضد ،ولما استقر صلاح

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

الدين بمنصب الوزارة في مصر كان أول أعماله تثبيت مركزه فيها فاستمال الرعية بأن أبطل المكوس ،وسيطر على الجند المصري.

وفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧٤م قطع صلاح الدين الخطبة للخليفة العاضد الفاطمي واقامها للمستضيء العباسي ، وكان العاضد مريضاً على فراش الموت وتوفي من دون أن يعلم ما حدث.

توحيد مصر والشام واستقرار الدولة الايوبية

توفي الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م ،ولم يكن بين رجال البيت الزنكي من يصلح أن يكون خلفاً لنور الدين. وقد رآى صلاح الدين نفسه غداة وفاة نور الدين في المركز الاقوى ، فهو أمير مصر الغنية المنيعة وتحت أمرته فرق عسكرية عدة ،وقد مال إليه كثير من أمراء الشام وكاتبوه.

لم يتدخل صلاح الدين في هذه المسألة فور وفاة نور الدين ، بل أرسل الى الملك الصالح يهنئه بالملك ويعزيه بوفاة والده ،ويعلن اخلاصه له في الخدمة كما كان لأبيه . لكن الخلافات التي تفشت في بلاد الشام بين كبار الأمراء ،واهتمامهم بتحقيق مطامع شخصية وتنافسهم على السلطة والخوف من استغلال الصليبيين للوضع . دفع بعض رجالات الشام الى الاستنجاد بصلاح الدين ، طالبين منه التدخل.

توجه صلاح الدين الى دمشق للاشراف بنفسه على تربيته الملك الصالح وتدبير ملكه والقضاء على الفرقة التي أطمعت الفرنجة في المسلمين وتوحيد البلاد لما في ذلك قوة تساعد على تحريرها منهم.

صلاح الدين والصليبيون

لم يدخل صلاح الدين في صراع حاسم مع الصليبيين في المرحلة الاولى من حكمه إذ كان مشغولاً فيها بتوحيد البلاد تحت سلطانه كي يتمكن بطاقتها من تحقيق هدفه وتحرير البلاد من الصليبيين ولما أتم ما أراد لبث يتحين الفرص ليدخل مع الصليبيين في صراع مباشر، حين بلغ الصليبيين خبر اجتماع العسكر الايوبي وتقدمه نحو الأردن اجتمعوا الصليبيين . قم تركوا مواقعهم في الصفورية وتحركوا

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

قاصدين طبرية وكان هذا ما أراده صلاح الدين وفي ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣هـ ، نزل الصليبيون حطين حيث دارت معركة حاسمة انتهت بتدمير القوى الرئيسية للفرنجة ،وكانت من أكبر الانتصارات العربية الاسلامية .ولم تقتصر نتائج المعركة على أسر ملك بيت المقدس وضياع مملكته ووقوع العسكر الصليبي بين القتل والاسر بل استولى على عكا وتبنين وصيدا وبيروت وعسقلان والاماكن المحيطة بالقدس ، ثم انطلق لتحرير المدينة المقدسة ودخلها منتصراً في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ ،وعمت البشائر الاسلام بهذا الفتح المبين.

كان لسقوط بيت المقدس بيد صلاح الدين واسترداد الساحل الشامي أثر كبير في احداث رد فعل عميف لدى العالم المسيحي الغربي . فتوجهت الى المشرق حملة جديدة هي الحملة الصليبية سنة الثالثة ٥٨٦هـ ، كان من ابرز قادتها فردريك بربروسا امبراطور المانيا الذي مات غرقاً والحملة في طريقها الى الشام وفيليب اوغست ملك فرنسا الذي انسحب عائداً الى بلاده قبل ان تبلغ الحملة هدفها وريتشارد قلب الأسد ملك انكلترا .وساعد وصول ريتشارد قلب الاسد على سقوط عكا في أيدي الصيبيين سنة ٥٨٧هـ ،وفي شعبان سنة ٥٨٨ هـ عقد صلح الرملة واستقبل الفريقان هذا الصلح بإرتياح شديد لما ناله من طول الحرب . وتوفي صلاح الدين في ٢٧ صفر ٥٨٩هـ ،وهو في السابعة والخمسون من عمره .ودفن في دمشق.

كان صلاح الدين قد قسم مملكته الواسعة الاطراف بين اولاده وأفراد من عائلته فجعل ممكلة دمشق لابنه الافضل نور الدين. لم يكن الافضل يصلح للزعامة لضعفه وانشغاله عن شؤون الرعية بأموره الخاصة. وانتهى الامر بتوحيد البيت الايوبي تحت زعامة العادل أخي صلاح الدين سنة٥٩٦هـ/١٢٠٠م ،وترتب على السلطان الجديد الوقوف في وجه الصليبيين اللذين يوجهون أنظارهم اتجاه مصر.

ونفذ الصليبيون تحمسهم هذا بتجهيز حملة رابعة إلى المشرق ولكنها انحرفت هذه المرة واستولت على القسطنطينية واقامت مملكة لاتينية فيها ،وأدى ذلك الى الدعوة الى حملة صليبية جديدة لتحقيق ما لم تحققه الحملة الرابعة الا وهو احتلال مصر.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

توجهت الحملة الجديدة نحو دمياط ،وفي أثناء حصار دمياط توفي السلطان العادل في ١٧ سنة ٦١٥هـ ، فخلفه ابنه الملك الكامل في حكم مصر.

ولكن الايوبيين ما لبثوا حين زال خطر العدو ، أن عادوا الى منازعاتهم الداخلية لتحقيق مطامع اقليمية.

وبلغ الخلاف أشده بين السلطان الملك الكامل واخيه الملك المعظم سنة ٦٢٠ هـ بسبب رغبة الاخير في توسيع مناطق نفوذة في بلاد الشام فاستولى على بعض اعمال حماة ، فكان ذلك بداية الخلاف بينهما.

ادت الخلافات الشديدة بين ابناء السلطان الملك العادل الى اضعاف السلطة الأيوبية مما شجع الصليبيين على ارسال حملة جديدة الى المشرق ،والى عقد اتفاق يافا سنة ٦٢٦ هـ ،مدة عشرة سنوات بين الامراطور فردريك الثاني والملك الكامل ،وقد نص هذا الاتفاق على تسليم مدينة القدس للفرنجة على ماهي عليه ، لاتجدد اسوارها ولا يكون للفرنج شيء من ظاهرها ، بل تكون جميع القرى للمسلمين وأن يكون الحرم الشريف بما حواه من الصخرة المقدسة والمسجد الاقصى بأيدي المسلمين ،واستثنيت قرى عديدة تركت للفرنج على طريقهم من عكا الى القدس.

ادى تسليم بيت المقدس للصليبيين بتلك السهولة الى اثارة موجة عارمة من السخط والاسى في العالم العربي والاسلامي ،وعد وصمة عار في جبين السلطان الكامل وعصره.

انحلال الدولة الايوبية وسقوطها

بدأ انحلال الدولة الايوبية منذ أواخر حكم الملك الكامل ،وكان لهذا الانحلال مظاهر متعددة على رأسها :

١. نشوب حروب بين أمراء الأيوبيين كادت تكون مستمرة.
٢. زوال فكرة السلطان الأكبر الذي كان يعترف به وبسلطته جميع الأمراء الايبوبيين ويعدون أنفسهم تابعين له ، فزال بذلك التضامن بين أفراد الاسرة ،وتبع ذلك محاولة كل منهم الحفاظ على امارته ولو بالاستعانة بالفرنجة وغيرهم ، بعد ان كانت فكرة قتال الصليبيين واخراجهم واجب الاسرة الرئيسي.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وبعد صراع عنيف بين رجال البيت الايوبي تمكن الصالح ايوب من دخول القاهرة سنة ٦٣٦هـ كان الصالح ايوب شخصية قوية ،وقد شهد عصره احداثاً داخلية وخارجية مهمة.

ادى تحرير بيت المقدس الى قدوم حملة صليبية سابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، توجهت الى دمياط مباشرة سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩ م ، وتوفي السلطان الملك الصالح في أثناء صد هذه الحملة ، فقامت أرملته شجر الدر بتسير الامور فأخفت خبر وفاة زوجها ،وراحت تصدر الكتب والمراسيم باسم السلطان . كما أخذت البيعة لابنه الملك المعظم توران شاه المقيم في حصن كيفا ،وأرسلت اليه تحضه على الحضور وتمت على يديه هزيمة هذه الحملة الصليبية التي كان معظم أفرادها من الفرنسيين ووقع الملك لويس التاسع أسيراً ،وعقد اتفاق تقرر فيه جلاء الصليبيين عن دمياط ودفع ٨٠٠ الف قطعة ذهبية فدية ، على أن يطلق سراح الملك لويس بعد تسليم دمياط ودفع نصف ما هو مقرر من الفدية ،وأن يعقد بين الطرفين صلح مدته عشر سنوات.

قتل توران شاه على يد مماليك أبيه قبل أن يتمم تنفيذ الاتفاق السابق مع الصليبيين ، فأدى ذلك الى سقوط الدولة الايوبية في مصر وقيام دولة المماليك في سنة ٦٤٨هـ. ولم يعترف أيوبية الشام بشرعية تولي المماليك الحكم في مصر وعقدوا العزم على قتالهم واستخلاص البلاد منهم.

٦- الاتابكة

١- تعريف نظام الاتابكية :

الاتابكية كلمة مشتقة من (أتابك) ، وهو لفظ تركي مركب من المقطعين (أتا) ومعناها "اب" و (بك) وتعني " أمير" فهي بذلك " الوالد الامير" وكان هذه اللقب يطلق على من تولي تربية أولاد السلاطين السلاجقة بالنسبة لحداثة سنهم . وأول من تلقب به الوزير نظام الملك وذلك حين فوض اليه السلطان ملكشاه من ألب ارسلان السلجوقي تدبير المملكة في سنة ٤٦٥هـ .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وكان من مظاهر الحكم السلجوقي ظهور (الاتابكيات) التي ترجع الى نظام الاقطاع الذي ابتدعه السلاجقة وطبقوه في اقاليم دولتهم. واول من اشاع هذه النظام الوزير نظام الملك الذي صار يمنح الرؤساء والمقربين الاقطاعيات الزراعية لاستثمارها بدلا من المرتبات الثابتة أو كجزء منها ، وكان على هؤلاء الامراء في مقابل هذه الاقطاع ان يتعهدوا بحفظ الامن والاستقرار في مناطقهم ، وكانوا مسؤولين عن هذا كله أمام السلطان مباشرة . وقد انتشرت هذه الاقطاعيات خاصة بعد وفاة السلطان ملكشاه بن ألب ارسلان في سنة ٤٨٥هـ وما ترتب على ذلك من تصدع الدولة السلجوقية ، وانقسام السلاجقة على انفسهم ، فاستقل كل أمير في مقاطعته وعمل كل واحد منهم على توسيع منطقة نفوذ على حساب القوى المجاورة وضمنها الى بلاده .

ومن أشهر الاتابكيات في العصر السلجوقي : اتابكية الموصل (٥٢١هـ – ٦٣١هـ)، واتابكية خوارزم (٤٩٠–٦٢٨هـ) ، واتابكية دمشق (٤٩٧– ٥٤٩هـ) واتابكية ارمينية (٤٩٣–٦٠٤هـ) واتابكية فارس (٥٤٣–٦٨٦هـ) .

لقد كان هناك عدد من الاتابكيات ، وقد غلب انتشارها في القسم الغربي من الدولة السلجوقية . في بلاد الشام والجزيرة واسيا الصغرى واربل والموصل والعراق بوجه الخصوص . كما ظهر عدد منها في فارس وكرمان واذربيجان ولورستان . وقد تفاوتت مساحات هذه الاتابكيات كما تفاوتت اعمارها . علما ان بعض هذه الاتابكيات انتهى في فترة واحدة وذلك عندما نشأت قوة مجاورة توسعت على حساب جملة من هذه الاتابكيات في وقت واحد . كما حصل عندما احتوت الدولة الايوبية بعضا من هذه الاتابكيات . او عندما انقرض جملة منها بسبب الغزو المغولي في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . اما اهم هذه الاتابكيات فهي :

١. اتابكية دمشق – البوريون ٤٩٧هـ / ١١٠٣م – ٥٤٩ هـ / ١١٥٤م .

انشا هذه الاتابكية في دمشق احد مماليك تتش بن الب ارسلان وهو طغتكين وكان قد اصبح اتابكيا لابنه دقاق امير دمشق الذي توفي سنة ٤٩٧هـ / ١١٠٣م فخلفه هو عليها وجاءت التسمية – البوريون – من اسم الاتابك الثاني الذي خلف طغتكين

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وهو ابنه تاج الملك بوري . لقد توالى على حكم دمشق من هذه السلالة ست حكام على مدى اثنين وخمسين عاما . وانتهت هذه الاتابكية بسيطرة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي على دمشق سنة ٥٦٩هـ / ١١٥٤ م .

٢. الارتقة في ديار بكر ٤٩٥هـ / ١١٠٢ م -٨١١هـ / ١٤٠٨ م

جد هذه الاسرة الذي اليه نسبت هو ارتق بن اكسب . احد مماليك السلطان تتش بن الب ارسلان وقد عين السلاجقة ابنه سقمان حاكما على حصن كيفا في ديار بكر سنة ٤٩٥هـ /١١٠١ م وافلح في السنة التالية بضم ماردين اليه ايضا وهكذا تكونت على يده اتابكية الارتقة . التي سرعان ما نقسمت فرعين سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م فرع حكم حصن كيفا وهو من ابناء سقمان . وفرع حكم ماردين بدءا بأخي سقمان وهو الغازي . واستمر هكذا منقسمين . ارتقة حصن كيفا من سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١ م – ٦٢٩هـ/١٢٣١م . وقام بالحكم خلال هذه المائة والاربعة والثلاثين عاما ثمانية حكام . بينما حكم الغازي وابناؤه في ماردين من سنة ٥٠٢ هـ/١١٠٨م – ٨٨١هـ/١٣١٢م . أي ثلثمائه وتسع سنوات شغلها ستة عشر حاكم . وبينما كانت نهاية الفرع الاول على يد الايوبيين وجاءت مبكرة . فام الفرع الثاني استمر طويلا وسقط على ايدي القرة قوينلو .

٣. اتابكية اذربيجان : ٥٣١هـ / ١١٣٦ م -٦٢٢هـ /١٢٢٥م

لقد نشأت هذه الاتابكية متأخرة قليلا عن الانابكيات السابقة . وقد قام بأنشائها شمس الدين ايلديكز ، وهو مملوك تركي للسلطان السلجوقي مسعود ابن محمد . وذلك بعد ان عينه الاخير حاكما على اذربيجان سنة ٥٣١هـ/١١٣٦ م ومنذئذ ولدة تسعين سنة حاكم هو وابناؤه واحفاده في اذربيجان – خمسة حكام – الى ان انتهت هذه الاتابكية سنة ٢٦٦هـ / ١٢٢٥ م على يد الخوارزميين الدين كانوا انذاك في اوج قوتهم . ولقد لعبت هذه الاتابكية واتابكها دورا كبيرا جدا في توجيه الاحداث في الفترة الاخيرة من تاريخ سلاجقة العراق عندما سيطروا على امرائهم وحركوهم وفقا لمشيئتهم حتى سقوطهم سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣م على يد الخوارزميين ايضا كما سنرى فيما بعد .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٤.اتابكية الزنكية : ٥٢١هـ /١١٢٧م – ٦٤٨هـ / ١٢٥٠ م

وتعد هذه الاتابكية من اكبر الاتابكيات قاطبة واهمها من حيث دورها الذي لعبته في تاريخ المنطقة . خاصة من خلال موقفها العسكري تجاه الافرنج ومقاومتها لهم ومحاولتها اقتلاع كياناتهم وحصونهم في بلاد الشام . لقد جاءت تسمية هذه الاتابكية بالزنكية نسبة الى مؤسسها عماد اليدن زنكي بن اق سنقر الدي ولي الموصل سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م من السلطان محمود الذي جعله ايضا اتابكا لولديه ومن هنا حصلت تسميته بالاتابك ، وتسمية سلالته بالاتابكة .

٥-اتابكية الموصل

يرجع الفضل في تأسيس اتابكية الموصل الى عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر عبدالله ، وذلك حين ولاه السلطان محمود بن محمد بن ملشكاة ولاية الموصل واعمالها في رمضان من سنة ٥٢١هـ ، وعهد اليه بتربية وليدة وجعله اتابكا لهما فعرف عماد الدين بذلك بالاتابك .

انصرف زنكي بعد أن استقر بالموصل الى تنظيم امارته اداريا وعسكريا مستندا في ذلك الى ما كان سائدا عند السلاجقة من نظم الحكم التي كان متأثرا بها كل التأثير ، وكانت سياسة زنكي في هذه المرحلة تهدف الى حشد الطاقات وتوحيد القوى المقاتلة للوقوف في وجه التحدي الصليبي الذي كان يهدد الدول العربية الاسلامية ، فوضع بذلك اساس حركة التحرير التي قادها خلفاؤه من بعده . وكان عماد الدين قد وجه اهتمامه نحو الامارات والمدن المجاورة والقلاع فعمل على ضم هذه الامارات وتمكين نفوذه فيها ، والواقع أن زنكي ادراك انه لا يستطيع ان يطمئن في زحفه الى الشام ومجابهة القوى الصلبية الا اذا أخضع هذه الامارات الصغيرة ، فبدأ بجزيرة ابن عمر وضمها الى نفوذه ، ثم أخضع مدينة اربل في رمضان من سنة ٥٢٢هـ .

كانت خاتمة حياة مؤسس الاتابكية في الموصل سنة ٥٤١ هـ فقد مات زنكي بعد ان اسس في فترة قصيرة امارة قوية خلف عماد الدين زنكي في حكم الاتابكية ولداه سيف الدين غازي في الموصل وأقليم الجزيرة ، ونور الدين محمود في حلب وما جاورها من مدن الشام.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

لفصل السابع

انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء

شكل دخول الاسلام الى افريقيا جنوب الصحراء منعطفاً تاريخيا مهماً في حياة سكان تلك البلاد ، فقد كان لمبادئ الاسلام وتطبيقاته الدينية والسياسية والاجتماعية الاثر الفعال في انتشاره خلال مدة قياسية قصيرة بين تلك الشعوب.

حمل الاسلام الى هذه المنطقة عوامل القوة في ذاته ، فهو لم يكتسح القبائل الوثنية بالقوة وانما وصل اليها بالطرائق السلمية ،ان هذا التسامح وعدم الإكراه جعل الناس في افريقيا حكاما ومحكومين يعتنقون الاسلام بكل حرية وقناعة واختيار فالسلم والاقناع كان الطابع العام لانتشار الإسلام في افريقيا.

حدود افريقيا جنوب الصحراء : هي تلك المنطقة الفسيحة التي تمتد من المحيط الاطلسي في المغرب الى سودان وادي النيل في الشرق .

اطلق اسم بلاد السودان على جميع الاقاليم شبه الصحراوية من افريقيا والتي تمتد جنوبي الصحراء الكبرى ومصر ، اي من المحيط الاطلسي في الغرب الى البحر الاحمر في الشرق ، وقسمت بلاد السودان على ثلاثة اقسام هي :

١. السودان الشرقي : يشمل المناطق الواقعة حول حوض نهر النيل الممتدة الى اخر بلاد الحبشة وبداية بلاد الزنج .

٢. السودان الاوسط : يشمل السودان الاوسط المنطقة الواسعة المحيطة ببحيرة تشاد وتشمل اليوم جمهورية تشاد والاجزاء الشرقية من نيجيريا – واجزاء من كل من الكاميرون وداهومي

٣. السودان الغربي : ويمتد من ثنية نهر النيجر في الشرق حتى المحيط الاطلسي في الغرب .

ويطلق على كل من السودان الاوسط الغربي افريقيا الغربية التي تمتد من بحيرة تشاد في الشرق الى ساحل المحيط الاطلسي في الغرب.

وقامت في افريقيا ممالك اسلامية ساهم حكامها في نشر الاسلام وحضارته العربية في تلك البلاد ، فضلا عن تبنيها للنظم العربية الاسلامية في جميع مجالات الحياة.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

تكوين السكان

ان سكان افريقيا بصورة عامة هم من سلالات واصول متنوعة . **يمكن ان تقسم افريقيا على قسمين هي :**

مناطق افريقيا الشمالية وبلاد الصحراء وسكانها اصحاب البشرة البيضاء والسمراء .

اما المجموعة السكانية الثانية والتي تحتل القسم الباقي من افريقيا (جنوب الصحراء الى جنوب القارة ومن الاطلسي الى الهندي) فهم من الجنس الزنجي او السودان .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان الصحراء قد اثرت في بلاد السودان حيث ان الصحراء ليست دائماً كما يظن مظهراً للعزلة والفصل ، وانها في حالات كثيرة اداة للربط والاتصال عبر الواحات المتناثرة فيها وهكذا الحال بالنسبة للصحراء الافريقية الكبرى التي كانت تتخللها طرق كثيرة ادت دوراً هاماً في تاريخ بلاد السودان ويكفي القول هنا انه عبر هذه الطرق وصل الدين الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية الى بلاد السودان مما منح هذه المنطقة ملامح جديدة .

طرق انتشار الاسلام في افريقيا

اولاً : جهاد ابو بكر بن عمر اللمتوني في افريقيا الغربية :

انتقلت قيادة المرابطين الى الامير ابي بكر بن عمر اللمتوني والذي كان قائداً للجهاد ليس في بلاد المغرب فحسب وانما في مناطق غرب افريقيا.

بدأ ابو بكر بن عمر اول هجماته على قبيلة براغواطة واخضعها لسلطته ، ثم عاد الى مدينة اغمات استعداداً للرحيل بجيشه الى الصحراء ، لنشر الاسلام بين القبائل الوثنية في السودان الغربي ، كما وصلته اخبار " اختلال احوال الصحراء ووقوع الفتن بين قبائل قومه " ، لمتونه وجداله .

عاد ابو بكر بن عمر من الصحراء الى مراكش بعد ان انهى الخلافات بين القبائل هنالك ، واجتمع بشيوخ المرابطين وتخلى امامهم عن الامارة لأبن عمه يوسف بن تاشفين .

اتجه الجيش المرابطي الى الجنوب للجهاد ضد مملكة غانة الوثنية في السودان الغربي ، وسيطروا على عاصمتها ة وذلك في سنة (٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م) .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

اما الملك تتكامين السوننكي الذي كان يحكم غانة عند سيطرة الجيش المرابطي عليها ، فقد قبل الدخول في الاسلام ، تحت سلطة المرابطين .

واستمر المرابطون في نشر الاسلام في المناطق الوثنية في افريقيا الغربية تحت قيادة ابي بكر بن عمر اللتموني ، الى ان استشهد هذا القائد بسهم مسموم في سنة (٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م).

وتجدر الاشارة ان استيلاء المرابطين على غانة ادى الى اعلان الإسلام دينا رسمياً لمملكة غانة ، وتحولت الحكومة من حكومة وثنية الى حكومة اسلامية ومنذ ذلك التاريخ (٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) ، صار حكم غانة من قبيلة السوننك مسلمين واشتهر حكام غانة المسلمين بحماستهم للإسلام وبالدور العظيم الذي قاموا به في سبيل نشر الاسلام ، واصبحت كلمة (السوننك) مرادفة لكلمة (داعي) عند القبائل الوثنية وهذا يدل على الاثر الكبير الذي اداه السوننك في نشر الاسلام .

ثانيا : دور التجار العرب المسلمون في نشر الاسلام في افريقيا الغربية :

ارتبطت بلاد المغرب بعلاقات تجارية تعود الى ما قبل الاسلام مع البلاد الواقعة جنوب الصحراء ولم تكن الصحراء تشكل حاجزاً دون الاتصال الحضاري المثمر بين الاقليمين .

والواقع ان طرق القوافل التجارية الصحراوية التي تربط بلاد المغرب بغرب افريقيا قديمة ، وقد استخدمتها قبائل بلاد المغرب وقبائل الصحراء قبل الاسلام في نقل السلع والمنتجات من الشمال الى الجنوب والعكس .

ولما وصل العرب المسلمون الى بلاد المغرب ، وبعد انتهاء عمليات الجهاد العسكرية فيها وتحريرها من السيطرة البيزنطية ، بدأت الدولة العربية الاسلامية بالاهتمام بالنشاط التجاري مع غرب افريقيا ، ولذا فقد وجهوا عنايتهم واهتمامهم الى طرق تجارة القوافل الصحراوي ، وقبل الحديث عن ذلك سوف نحاول تحديد المسارات الرئيسية ومحطاتها بين بلاد المغرب وافريقيا الغربية وتنقسم على ثلاث طرق هي :

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

١. الطرق التجارية :

أ- الطريق الشرقي : وهو الطريق الذي يربط مناطق المغرب الأدنى بإقليم السودان الأوسط والسودان الغربي ، ويتفرع هذا الطريق الى فرعين :

الفرع الاول : يبدأ من اجدابية في الشمال الى السودان الأوسط ، حتى ينتهي في مناطق زغاوة في ارض الكانم.

الفرع الثاني : يربط مناطق المغرب الادنى بالسودان الغربي ويمر عبر غدامس وتادمكة الى ان يصل الى منحنى النيجر ومنها الى غانة

ب- الطريق الأوسط : وهو الطريق الذي يربط المغرب الاوسط (تلمسان وتاهرت بالسودان الغربي) ويتفرع هذا الطريق الى فرعين :

الفرع الاول : يبدأ من تلمسان الى مدينة تاهرت ومن ثم الى ارجلان ومنها الى مدينة كوكو في السودان الغربي .

الفرع الثاني : يبدأ من مدينة القيروان شمالاً ، ثم يتجه الى السودان الغربي الى وارجلان ، ومن ثم الى مدينة غانة .

ت- الطريق الغربي : يربط الطريق الصحراوي الغربي التجاري بلاد المغرب الاقصى في الشمال وبلاد السودان الغربي في الجنوب عبر الصحراء الغربية يتفرع هذا الطريق الى فرعين هما :

الطريق الاول : يبدأ من سلجماسة في الشمال وينتهي بمدينة اودغست في الجنوب ثم يسير الطريق الى مدينة غانة السودانية ويمر هذا الطريق بمناطق قبائل صنهاجة.

الفرع الثاني : " من وادي درعه في الصحراء الى وادي تارجا اول الصحراء ، وان مناطق قبائل لمتونة الصنهاجية كانت هي محطة الوقوف لقوافل التجارة الصحراوية في الطريق الغربي . ان البدايات الاولى لوصول التجار العرب المسلمون الى غرب افريقيا كان منذ مطلع القرن (٢ هـ / ق ٨ م) الا انه ومنذ (ق ٤ هـ / ق ١٠ م) اخذوا يتزايدون بشكل بارز في المناطق التجارية في افريقيا الغربية ، بل ان البعض استقر وتزوج واصبح جزءاً لا يتجزأ من السكان الاصليين .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٢. السلع التجارية :

جلب التجار العرب المسلمين معهم الى افريقيا الغربية البضائع ومنها الملح الذي يعد من اهم السلع التي نقلها التجار العرب المسلمون الغانة وكوكو) .

ونقل التجار العرب المسلمون الحبوب والتمور الى غرب افريقيا.

ومن السلع التي نقلها التجار العرب المسلمون الى افريقيا الغربية ، الحرير والسروج والنحاس ، والجلود الزويلية والغدامسية .

وكان لتجارة الذهب اثر مميزاً في نمو العلاقات بين بلاد المغرب وافريقيا الغربية لعدة قرون.

وتجدر الاشارة الى ان التبادل التجاري بين التجار العرب المسلمين وبين تجار افريقيا الغربية يتم في المنطقة المشهورة بكثرة الذهب والذي تسمى وانقارة .

ان وصول التجار المسلمين الى المراكز التجارية في افريقيا الغربية واستقرار البعض منها في تلك المراكز ، جعلهم اهم واسطة لنشر الاسلام والحضارة العربية الاسلامية في افريقيا الغربية .

٣. المراكز التجارية

أ- مدينة اودغست : وهي من المراكز التجارية المهمة في السودان الغربي ، وتقع في شمال غرب السودان الغربي ، في نقطة النهاية الذي يربط بلاد المغرب بالسودان الغربي ، والذي يبدأ من مدينة سلجماسة وينتهي بمدينة اودغست.

واكتسبت مدينة اودغست اهميتها ليس من كونها محطة لاستراحة القوافل التجارية فحسب ، بل انها سوق ونقطة لقاء بين تجار القوافل الصحراوية ، حيث يبادلون بضائعهم الشمالية بالبضائع القادمة من اودغست .

ب- غانة : من المراكز التجارية المهمة في السودان الغربي ، وتأتي اهميتها من كونها تقع الى الشمال منها مناجم الملح والى الجنوب منها مناجم الذهب .

لقد وصل التجار العرب المسلمون الى غانة في وقت مبكر ، ومنهم التجار البصريون من اهل العراق والتجار الحميريون من اليمن ، وادى توسع النشاط التجاري الى تأسيس حي عربي اسلامي في مدينة غانة .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٤. اثر التجار في نشر الاسلام : من نتيجة النشاط التجاري للعرب المسلمون في السودان الغربي ، هو اسلام حاكم التكرور ، الذي اسلم على يد التجار العرب من بلاد المغرب دخل اول ملك حكم مملكة السنغاي الاسلام وهو الملك زاكاسي وذلك في سنة (٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م). كما انطلق التجار العرب المسلمون من غانة الى القبائل في كانجابا واسلم على يديهم ملكهم سنة (٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م) . وفي (ق ٥ / ق ١١ م) امتد نشاط التجار العرب المسلمون الى مناجم الذهب في غيارو ويرسني وكوغة ومن نتيجة ذلك اسلام حاكم مدينة هلل وقومة على يد احد التجار العرب .

ومن القبائل العربية التي كانت قد انتقلت من مصر الى بلاد المغرب قبيلة جذام ، ومنها اتجهت جنوباً عبر الصحراء الى اراضي مملكة الزغاوة ، في السودان الاوسط وذلك في اواخر (ق ٥ هـ / ق ١١) وسيطروا على دارفور في السودان الشرقي واتخذوها قاعدة للهجوم على الاقاليم المجاورة .

ومن الهجرات الفردية الى بلاد كانم ، هجرة الكثير من العلماء ورجال الدين العرب الى افريقيا الغربية بلاد كانم ، وكان هدفهم نشر الاسلام وثقافته.

ثالثاً : الهجرات العربية الى السودان الغربي :

كان الوجود العربي الاسلامي في السودان الغربي مبكراً ، وذلك نتيجة لقدم الاتصالات بين البلاد العربية والاسلامية ومناطق السودان الغربي ، كان لتحركات القبائل وهجراتها اثر في نشر الاسلام وحضارته في غرب القارة الافريقية . ومن هذه الهجرات ، هجرات القبائل العربية التي وصلت من شبه الجزيرة العربية واستقرت في مصر اثناء حروب التحرير العربية الاسلامية ثم هاجر بعضهم متجهاً الى بلاد المغرب : لتحريرها من السيطرة البيزنطية ونشر الاسلام في تلك المناطق .

الا ان اهم هجرة عربية الى بلاد المغرب والصحراء هي هجرة القبائل الهلالية التي كان لها اثر بارز في تعريب المنطقة دماً ولساناً ، التي حدثت في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

ويبدو ان مضارب بنو هلال وبنو سليم قبل هجرتهم الى مصر ، كانت بعد الحجاز بنجد ، فبنو سليم مما يلي المدينة وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف " .

لقد عرفت هذه الهجرة في التاريخ باسم الهجرة الهلالية ، على الرغم من ان هناك قبائل غير هلالية ، كانت ضمن هذه الهجرة ، منها قبائل بني سليم ، الذين كانوا اكثر عدداً من القبائل الهلالية ، فضلاً عن القبائل القحطانية التي تضم قبائل المعقل بفروعها المختلفة ، ولخم وجذام ، وقد اطلق عليها بالهجرة الهلالية ، ربما لتزعم بنو هلال لكل هذه المجموعات القبلية او لسهولة الاسم وتوارثه على الألسنة ، وفي عهد المستنصر بالله الفاطمي من (٤٢٧ هـ – ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ م – ١٠٤٩ م) ، دخلت هذه القبائل في منازعات وحروب فيما بينهما. هاجرت هذه القبائل من مصر الى بلاد المغرب في منتصف القرن (٥ هـ / ق ١١ م) كما ذكرنا سابقاً ، مصحوبين بعوائلهم وممتلكاتهم ، مدعومين بقوة الفاطميين . وتجدر الاشارة الى ان لهذه الهجرة اسباباً كثيرة ، منها سياسية واخرى اقتصادية.

ففيما يخص الاوضاع في مصر ، فان بنو هلال وبنو سليم كانوا وراء الكثير من الفوضى والاضطرابات ، كما ان الاوضاع الاقتصادية في مصر بدأت في التدهور منذ (ق ٤ هـ / ق ١٠م) واجتاحت المجاعات البلاد ، لاسيما في خلافة المستنصر بالله الفاطمي .

وكان من نتيجة الازمة الاقتصادية والمجاعات التي عانت منها مصر ، تدهور الوضع الاقتصادي والمعيشي للسكان .

ولمعالجة هذه المشكلات الاقتصادية ، قام الفاطميون بدفع القبائل العربية في صعيد مصر الى ما وراء الحدود المصرية تجنباً للقلاقل التي يثيرونها.

ومن القبائل التي كانت قد انتقلت من مصر الى بلاد المغرب هي قبيلة جذام ومنها اتجهت عبر الصحراء الى اراضي مملة الزغاوة في السودان الاوسط ،وذلك في اواخر القرن الخامس الهجري ،واتخذوا دارفور قاعدة لهم.

ومن الهجرات الفردية الى بلاد كانم ، هجرة الكثير من العلماء ورجال الدين الى افريقيا الغربية(بلاد كانم) وكان هدفهم نشر الاسلام وثقافته.

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

وفي المغرب الاقصى استقرت قبائل المعقل اليمنية منذ نهاية (ق ٥ هـ/ ق ١١ م) وبداية (ق ٦ هـ / ق ١٢ م) .

-أهم الممالك التي ساعدت على انتشار الاسلام في افريقية جنوب الصحراء:

١-مملكة مالي:

ان الحكام في مملكة مالي لم يكتفوا بأعتناق الاسلام والحرص على مبادئه واهدافه فحسب ،وانما جاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل نشره.

ان من ابرز ملوك مالي الذين جاهدوا لنشر الاسلام في غرب افريقيا هو السلطان منسا موسى ، وهو يعد من اشهر سلاطين مملكة مالي الذي تميزت علاقته بالوثنيين بالعنف والتوتر ، وكانت تنتهي دائماً بالحروب التي يشنها لنشر الاسلام في السودان الغربي.

وتمكن من السيطرة على معظم حوض النيجر ، ونتيجة لحركة الجهاد اتسعت مملكة مالي ، ان طموحات منسا موسى لم تقف عند حدود البحر (المحيط) ، بل امتدت الى ما ورائه يلحق توسعه البري بتوسع بحري ، وذلك من خلال اكتشاف معالم المحيط الاطلسي " فاعد حملة مكونة من مئتي سفينة شحنها بالرجال والازواد وامرهم ان لا يعودوا حتى يبلغوا نهاية البحر ولما لم يعودوا جهز حملة اخرى تحت قيادته ، تضم الفي سفينة ، الفاً للرجال والفاً للازواد " .

٢- جهاد حكام مملكة السنغاي : جاهد ملوك السنغاي في سبيل نشر الاسلام وحضارته في مناطق غرب افريقيا .

ونتيجة لهذا الجهاد العسكري الذي قام به حكام السنغال ، فقد توسعت مساحة المملكة وشملت اجزاء كبيرة من السودان الغربي وامتدت غربا الى اعالي النيجر والسنغال كما وصلت في الشمال الغربي الى اقاليم ادرار .

فقد استكملت المملكة استعداداها العسكري والحربي بهدف نشر الاسلام في المناطق الوثنية ، واتخذت حركة الجهاد الاسلامي في عهده مظهراً قوياً فوجهت جهودها في الجهاد والدعوة الى الاسلام في المناطق الجنوبية حيث توجد مملكة موش الوثنية .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

ومن نتائج هذه الجهود اخضاع الكثير من المناطق الوثنية لسلطة مملكة السنغاي وهذا ادى الى اعتناق الكثير من اهل مملكة الوثنية للإسلام .

٣-مملكة كانم – برنا١٨٤هـ ١٠١١هـ/ ٨٠٠هـ ١٦٠٢م)

تقع كانم الى الشمال الشرقي من بحيرة تشاد .ان النظام السياسي الوثني في كانم كان يحول من دون انتشار الاسلام في تلك المناطق ففي (ق٥هـ/ق١١م) حدث تغير سياسي جذري في نظام الحكم تمثل هذا التغيير في وصول اسرة جديدة مسلمة الى الحكم هي الاسرة السيفية التي تنتسب الى الملك اليمني الحميري سيف بن ذي يزن

ان انشار الاسلام والعروبة في مملكة كانم قد بدأ بعد وصول طلائع الجيش العربي الاسلامي الى بلاد المغرب في (ق١هـ/ ق٧م) الذين اخذوا يتطلعون للسيطرة على الصحراء المؤدية الى مداخل بلاد السودان الاوسط وهي صحراء فزان التي كانت سبيلا لوصول العروبة والاسلام من الشمال الى الجنوب ففي عام (٤٦هـ/٦٦٦م) وصلت كتائب من الجيش العربي الى فزان عاصمة زويلة بقيادة عقبة بن نافع الفهري ، فسيطر على فزان ونواحي كوار ، كما اوضحنا سابقا.

وفي القرنين (٢-٣هـ /٨-٩م) ، ازداد نشاط التجار العرب في بلاد كانم .ان هذا الوجود للتجار العرب المسلمين في مملكة كانم ادى الى انشار الاسلام فيها.

ونتيجة للتغير السياسي لنظام الحكم في كانم في (ق٥هـ / ق ١١م) ووصول اسرة حاكمة مسلمة قد اعطى فرصةعة قوية لانتشار الاسلام أن وجود حاكم مسلم جديد في كانم من ولد سيف بن ذي يزن يعمل على نشر . وأن اسلام الحكام في مملكة كانم كان على يد الفقهاء العرب المسلمين .

رابعاً : الطرق الصوفية :

كان للجهود الصادقة التي بذلها الفرق الصوفية في القارة الافريقية اثرها الكبير في انتشار الاسلام في تلك البقاع وقد اسهمت الطرق الصوفية مع جهود التجار والدعاة على نشر التعاليم الاسلامية المبنية على حب الجار والتسامح مع الديانات الاخر واستخدم كل وسائل الترغيب من اجل نشر الاسلام ابتغاء لمراضاة الله وحسن الثواب في الاخرة وهداية الناس وقد تيسر ذلك الصوفية من خلال بناء المساجد وفتح

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

المدارس وتشييد الربط والزوايا والتكايا وغيرها من المراكز الصوفية التعبدية والثقافية فضلا عن المظاهرة مع اهالي البلاد التي استوطنوها اضافة الى شراء العبيد لتعليمهم مبادئ الدين الحنيف ثم اعتاقهم لوجه الله واعادتهم الى اوطانهم ليدعوا اخوانهم الى الاسلام الذي يضمن لهم شريعة الحرية والاخاء والعدالة والمساوات بين الجميع .

وقد نشطت الطرق الصوفية في القرن الثامن الهجري(الرابع عشر الميلادي) بعد ان عرف الاسلام التصوف في القرن الثاني والثالث الهجريين وذلك بسبب رجحان كفة الصوفية واصبحت التقاليد الاسلامية عند ذلك الوقت مصبوغة بالصبغة الصوفية في شؤون العبادات والمعاملات.

غير ان اهمية الصوفية برزت في الوقت الذي مرت فيه الدولة العثمانية بفترة الضعف وتعرضت وحدة العالم الاسلامي الى التفتت السياسي استطاع الصوفية ان يحفظوا في الميدان الديني هذه الوحدة من خلال نشاطهم في افريقيا خصوصا بأحياء الطرق الصوفية القديمة او انشاء طرق اخرى تتلائم مع المرحلة والظروف.

ويرى البعض ان التصوف انتقل من الاندلس الى بلاد المغرب العربي حيث مارس الصوفية دورا مهما في نصرة الموحدين ضد المرابطين ومن ذلك الحين انتشرت تعاليم الصوفية الى الجهات الافريقية المختلفة بالطرق التالة:-

اهمية انتشار الاسلام في افريقيا الغربية

مع دخول العرب وانتشار الاسلام في اقاليم افريقيا الغربية اخذت مظاهر الحضارة العربية الاسلامية تنتقل الى تلك المناطق فتطورت سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وبرزت في الغرب الافريقي حضارة اسلامية متقدمة.

كما تزامن مع انتشار الاسلام في افريقية الغربية قيام امبراطوريات اسلامية سودانية تطبق النظم الاسلامية في الادارة والقضاء والجيش فالدولة حلت محل القبيلة وانتهى نظام المشيخة القبلية ولم يعد الشيوخ زعماء مستقلين بل اصبحوا مترابطين ضمن اطار المجالس الاقليمية مع غيرهم من شيوخ المنطقة وهذا الترابط في حد ذاته يمثل احساسا بالوحدة القومية التي لم يألفها السودانيون من قبل.

كان نظام الحكم في افريقيا جنوب الصحراء ومن ضمنها افريقيا الغربية بعد انتشار الاسلام نظاما ملكيا وراثيا بشكل عام الا انه بدأ فيه نوع من انواع الانتخابات مما يظهر

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

التأثير العربي في المنطقة كما رفت الحكومات التخصص في الادارة فهناك الوزراء والقضاء والكتاب والدواوين مما يوضح لنا الاثر العربي في الادارة وتقاليدها. اما النظام القضائي فيكاد يكون منقولا مما هو موجود في الدولة العربية الاسلامية كما عرفت الدول السودانية نظام الجيش ونظمته ودربته احسن تنظيم وتسليح معروف في ذلك العصر .

ومما لا شك فيه ان الوجود العربي في افريقيا قد اثر في الاقتصاد السوداني بما احدثه من تغير جذري في كمية ونوعية الانتاج وفي التصنيع والتجارة وكانت ظروف الامن والتنظيم الاداري في تطوير ونمو الاقتصاد بشكل كبير كان الحافز التجاري مهما للاحتكاك البشري بين الشمال الافريقي وافريقيا الغربية وكان الاصل في قوة التبادل التجاري هو تنوع المنتوجات والمستوى الحضاري بين الشمال والجنوب ل لقد كان للتبادل التجاري بين الشمال والجنوب عبر طرق القوافل الصحراوية الدور الاول والاهم في نقل العرب الاسلام الى بلاد الاسودان. فبوساطة ،وصل الدعاة المسلمون مع القوافل التجارية لنشر الاسلام بين الشعوب.

والواقع ان النشاط التجاري بين الشمال الافريقي وبلاد السودان ادى الى نمو وتوسع المدن السودانية واصبحت طبقة التجار فيها ذات يسار ورفاهية ، في هذه المدن وصبغوها بالصبغة العربية الاسلامية ابتداءا من فن العمارة وتخطيط المدينة وتقديم الخدمات فيها الى العادات الاجتماعية من لباس وطعام وشراب ومسكن وبتقادم الزمن وبوصول القبائل العربية المهاجرة الى بلاد السودان وصلت الاعراف والتقاليد العربية الاسلامية الى اماكن سودانية لم يكن تعلمها ومعرفتها بالقدر الكبير .

ولعل هم من ذلك كله ان للاسلام الفضل الكبر في ادخال الثقافة العربية الاسلامية الى افريقيا الغربية فقد نقلت اللغة العربية التي اصبحت لغة رسمية.

وادخل علوم الدين الى اماكن كثيرة من السودان الغربي وقد ادت الجهود في هذا المجال الى خلق مدرسة اسلامية في مجال علوم الدين من فقه وحديث وبمرور الزمن توسعت المجالات الثقافية واضافت مجالات وافاقا تمثلت في فنون ادبية اكثر عمقا وابداعا كالفلسفة والمنطق والتاريخ وأداب الرحلات والانشاء والشعر. وبتقادم الزمن ترعرعت في مدن السودان طبقة مثقفة بالثقافة العربية الاسلامية اقترفت معرفتها اما من العلماء العرب المسلمين المتوافدين او المستقرين في بلادهم او عن طريق رحلاتهم العلمية الى بلاد الاسلامية . وكانت حصيلة ذلك ان نهضت مراكز ثقافية في بلاد السودان الغربي

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

استقطبت الكثير من العلماء اليها . ان تاريخ افريقيا جنوب الصحراء والمتمثل بالتراث الثقافي والحضاري قد علمائهم على ان دور العلماء الافارقة في الحضارة العربية الاسلامية كان دورا ايجابيا ومتواصلا ومتجددا .

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

المصادر الاولية.

- ابن الاثير،عزالدين علي بن محمد الشيباني (ت:٦٣٠هـ)
١- الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي ، بيروت،١٩٦٧
- ابن الأبار ، محمد بن عبدالله القضاعي (ت:٥٦٨هـ)
٢- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس ،ط١،الشركة العربية للطباعة والنشر،القاهرة ،١٩٦٣م
.
- البكري ، ابو عبدالله بن عبد العزيز(ت:٤٨٧هـ)
٣- المغرب في وصف افريقية والمغرب ، مطبعة بريل ،ليدن ،١٩٦٨م
- ابن تغري بردي ،ابو المحاسن جمال الدين يوسف الآتابكي (ت:٨٧٤هـ)
٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٢
- ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)
٥- المنتظم ،ط٢،دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤١٥هـ
- ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد(ت:٦٨١هـ)
٦- وفيات الاعيان ،تحقيق :احسان عباس،دار الثقافة،بيروت ،١٩٨٦هـ
- ابن خلدون،عبدالرحمن بن محمد(ت:٨٠٨هـ)
٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر،دار الكتاب اللبناني،بيروت، ١٩٩٩هـ
- الدرجيني ، ابو العباس احمد(عاش في القرن السابع الهجري)
٨- طبقات الاباظية،طبعة البليدة،الجزائر،١٩٧٤م
- ابن ابي دينار،محمد بن القاسم (ت:١٠٩٢هـ)
٩- المؤنس في اخبار افريقية وتونس ،تحقيق،محمد شمام،المكتبة العتيقة،تونس،١٣٧٨هـ
- الذهبي ،شمس الدين محمد بن احمد (ت:٧٤٨هـ)
١٠- سير اعلام النبلاء،مؤسسة الرسالة ، بيروت،١٩٨١م
- الرقيق القيرواني،ابراهيم بن القاسم (ت:بعد٤١٧هـ)
١١- تاريخ افريقية، والمغرب،تحقيق،المنجي ،تونس،١٩٦٨م
- ابن ابي زرع،علي بن عبدالله
١٢- روض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس،دار المنصور ،الرباط،١٩٧٢م
- ابن سعيد المغربي ،علي بن موسى (ت:٦٨٥هـ)
١٣- المغرب في حلى المغرب،دار المعارف،القاهرة،بلا،ت
- ابن الصغير ،يحيى بن ابي بكر (ت:٤٧١هـ)
١٤- السير واخبار الائمة الرستميين،الدار التونسية للنشر ،تونس،١٩٨٥م
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت:٣١٠هـ)
١٥- تاريخ الرسل والملوك،دار المعارف،القاهرة،١٩٧٦
- ابن الطقطقي،محمد بن علي بن طباطبا(ت:٧٠٩هـ)

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

١٦- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية،مطبعة محمد علي ،القاهرة/١٩٦٢م
- ابن عذري،ابو عبدالله المراكشي(ت:٧٠٩هـ)
١٧- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب،تحقيق بروفنسال،دار الثقافة،بيروت،د.ت
- ابو الفدا،الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل(ت:٧٣٢هـ)
١٨- المختصر في اخبار البشر،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٩٩٧م
- ابن كثير ،ابي الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت:٧٧٤هـ)
١٩- البداية والنهاية،مكتبة المعارف ،بيروت،١٩٨٩م
- المراكشي،عبد الواحد بن علي(ت:٦٤٧هـ)
٢٠- المعجب في تلخيص اخبار الاندلس والمغرب،تحقيق صلاح الدين الهواري،بيروت،٢٠٠٦م.
- المقريزي،تقي الدين (ت:٨٤٥هـ)
٢١- اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الحنفا،تحقيق جمال الدين الشبال،القاهرة،١٩٨٥م

المراجع الحديثة

- احمد،نهلة شهاب
١- عقبة بن نافع،دار الشؤون الثقافية،بغداد،١٩٨٩م
- الجاف ،حسن
٢- الوجيز في تاريخ ايران،بغداد،٢٠٠٣م
- الجميلي ،رشيد
٣- تاريخ الدويلات العربية الاسلامية في المشرق والمغرب،منشورات جامعة بغداد/١٩٨٠م
٤- تاريخ الدولة العربيةالاسلامية في العصور العباسية المتأخرة،بغداد،١٩٨٩م
٥- دولة الاتابكة في الموصل ٥٤١-٦٣١هـ،دار النهضةالعربية للطبتعة والنشر ،ط١،بيروت،١٩٧٠م
- حسن،حسن ابراهيم
٦- انتشار الاسلام في القارة الافريقية
- الحجي ،عبد الرحمن علي
٧- تاريخ الاندلس من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة،ط٧،دار القلم،دمشق،٢٠١٠م
- الحديثي ،قحطان عبد الستار
٨- الدولة العربية الاسلامية في العصور العباسية المتأخرة،مطبعة جامعة البصرة،١٩٨٧م
- حمدي ،حافظ احمد
٩- الدولة الخوارزمية والمغول،القاهرة،١٩٩٢م
- حيدر،محمد علي
١٠- الدويلات الاسلامية في المشرق ،عالم الكتب ،القاهرة،١٩٧٤م

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

- خطاب، محمود شيت
١١- قادة فتح المغرب العربي،ط١،دار الفتح،بيروت،١٩٦٦م
- الدوري ،عبد العزيز
١٢- دراسات في العصور العباسية المتأخرة،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت،٢٠٠٧م
- الدوري ،تقي الدين عارف
١٣- صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الاسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورماندي،دار الرشيد،بغداد،١٩٨٠م
- ذنون، عبد الواحد
١٤- تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس،الموصل،١٩٩٥م
- الربيعي،سهاد خزعل نجيب
١٥- الامارة الزيارية في جرجان وطبرستان ،بغداد،٢٠٠١م
- رضا،مجمد سعيد،محمد بشير العامري
١٦- تاريخ المغرب والاندلس في العصر الاسلامي ،بغداد،٢٠٠٢م

- الزركلي،خيرالدين
١٧- الاعلام ،ط٥،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٨٠م
- السامر،فيصل
١٨- الدولة الحمدانية،مطبعة جامعة بغداد،١٩٧٢م
- السالم ،عبد العزيز
١٩- المغرب الكبير ،الدار القومية للطباعة والنشر ،الاسكندرية،١٩٦٦م
- السامرائي ،خليل ابراهيم واخرون
٢٠- تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي ،منشورات الجامعة العراقية،بغداد،١٩٩٩م
٢١- تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ،منشورات الجامعة العراقية ،١٩٩٠م
- سرور،محمد جمال الدين
٢٢- تاريخ الحضارة الاسلامية في المشرق
٢٣- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنيين الرابع والخامس بعد الهجرة،ط٢،القاهرة،١٩٥٩م
- السرجاني،راغب
٢٤- قصة الاندلس،مؤسسة اقرأ،ط١، ٢٠١١م
- شريف،احمد ابراهيم،حسن احمد محمود
٢٥- العالم الاسلامي في العصر العباسي ،القاهرة،١٩٧٢م
- الشيال ،جمال الدين
٢٦- تاريخ الدولة العباسية،دار المعارف ،القاهرة،١٩٦٦م
- الشيخلي ،صباح

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩

٢٧- تاريخ الاسلام في افريقيا وجنوب شرقي اسيا،بغداد،١٩٨٧م
- صالح،عمر
٢٨- دور الحكام السودانيين في نشر الاسلام
- طقوش،محمد سهيل
٢٩- تاريخ المسلمين في الاندلس،ط٢،دار النقاش،بيروت،٢٠٠٨م
- عباس،رضا هادي،كريم عاتي الخزاعي
٣٠- محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس
- العبادي،احمد مختار
٣١- محاضرات في التاريخ العباسي والفاطمي،دار النهضة العربية،بيروت،٢٠١٤م
- العبود ،نافع توفيق
٣٢- الدولة الخوارزمية ،نشأتها،علاقاتها مع الدول الاسلامية ،نظمها العسكرية والادارية٤٩٠- ٦٢٨هـ/١٠٩٧-١٢٣١م ،بغداد،١٩٧٨
- عدوان ،احمد محمد
٣٣- موجز في دويلات المشرق الاسلامي ،دار عالم الكتب ،الرياض،١٩٩٠م
- علام، عبد الله
٣٤- الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ،دار المعارف،القاهرة،١٩٧١م
- فوزي،فاروق عمر
٣٥- الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة،دار الخليج ،الشارقة،١٩٨٣م
- محمود،حسن احمد واحمدابراهيم الشريف
٣٦- العالم الاسلامي في العصر العباسي ،مكتبة المتنبي،السعودية،٢٠٠٩م

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين- قرب الباب الرئيسي للجامعة - ٠٧٧١٢٢٩١٤٤٩